قادة مصر الفرعونية

حتشبسوت



مكتبة الأسرة
٢٠٠٨

المحتويات

المقدمة		5
الفصل الأول	أسرة التحامسة	12
الفصل الثانى	الملك تحتمس الثانى وحتشبسوت	31
الفصل الثالث	الملكة حتشبسوت	48
الفصل الرابع	المظاهر	68
الفصل الخامس	التجارة والاستكشافات	86


البحـــر المتوســط
الإسكندرية
دلتـا النيـل
أواريس
مصر السفلى
(الوجه البحرى)
هليوبوليس
القاهرة
الجيزة
منف
سقارة
سيناء
دهشور
ميدوم
الفيوم
تل العمارنة
مصر العليا
(الوجه القبلى)
الصحراء الشرقية
الصحراء الغربية
البحر الأحمر
أبيدوس
دندرة
طيبة
الكرنك
الأقصر
جزيرة الفيلة (ألفانتين)
أسوان
نهر النيل
أبو سمبل
النوبة
مصـر القديمـة

المقدمة

لقد نمت الحضارة المصرية القديمة، وازدهرت، ويرجع الفضل فى ذلك للظروف الطبيعية المميزة للأراضى المصرية. وتنقسم مصر إلى جزأين: الجزء الجنوبى، المعروف باسم مصر العليا (أو الوجه القبلى)، ويتكون من شريط طويل ضيق من الأراضى الخصبة على كل من ضفتى نهر النيل، الذى ينبع من الجنوب ويتدفق نحو الشمال. وبقية الأراضى فى مصر العليا، تتكون من أراضٍ صحراوية. وتوجد أيضًا مرتفعات صخرية فى الشرق، بين النيل والبحر الأحمر، وصحراء فى الغرب. أما الجزء الشمالى من البلد، والمعروف باسم مصر السفلى (أو الوجه البحرى)، فهو عبارة عن أراضٍ منبسطة، يتفرع فيها النهر إلى فرعين يصنعان معًا شكل الحرف V، وهذه المنطقة تُعرَف باسم دلتا النيل.

أرض التثنية

إن فكرة الجزأين اللذين يكونان الوحدة الكاملة، أمر شائع فى الفكر المصرى القديم؛ حيث تنقسم مصر إلى جزء شمالى، وآخر جنوبى، وأيضًا، إلى أرض خصبة سوداء صالحة للزراعة، تسمى: كمت، وأرض صحراوية حمراء، تسمى: دشرت. وكان الحكام المصريون، الذين عُرِفوا باسم الفراعنة، كثيرًا ما يُنادى بهم باعتبارهم: ملوك الأرضين. كما أن غطاء الرأس الملكى كان مصنوعًا من تاجين متداخلين، التاج الأبيض لمصر العليا، والتاج الأحمر لمصر السفلى. كذلك فإن اسم الفرعون مستمد من المصطلح المصرى القديم «بر - عا»، أو البيت الكبير، وقد كان هذا هو اسم قصر الملك المصرى.

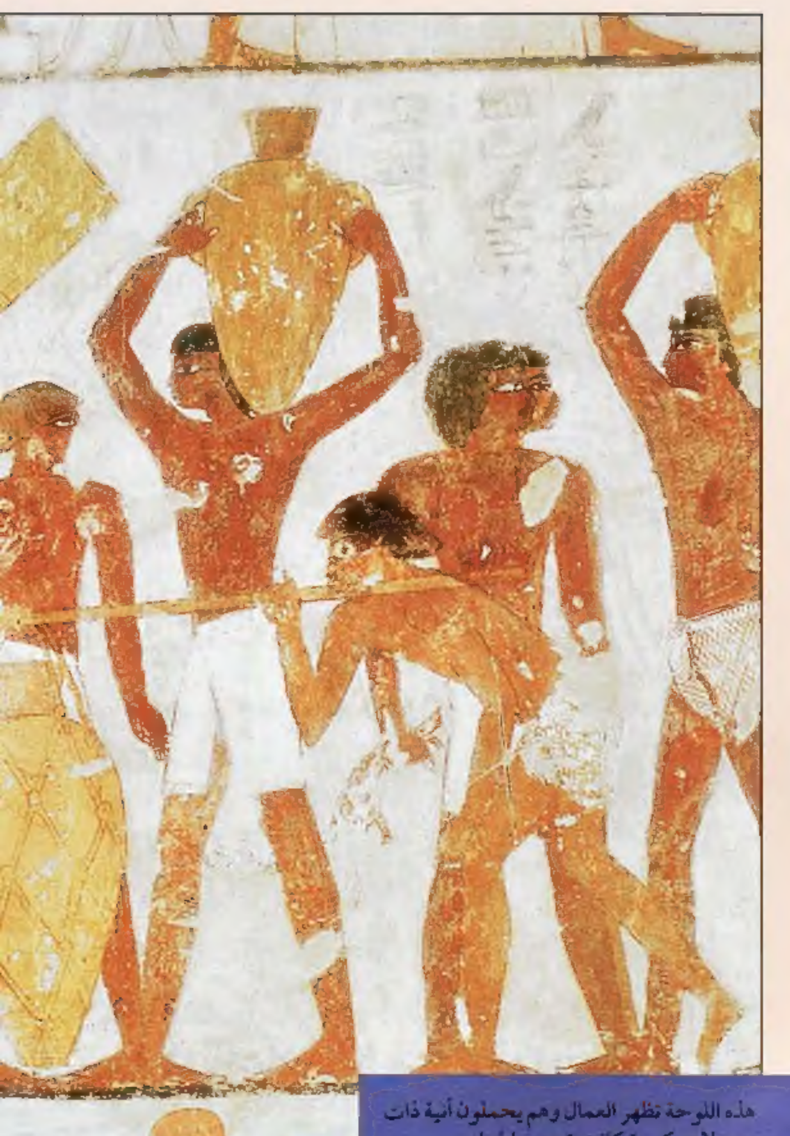
التاريخ المصرى

قام الباحثون بتقسيم التاريخ المصرى إلى فترات زمنية مختلفة سعيًا لجعله مفهومًا أكثر. وأول من فعل ذلك، كان الكاهن المصرى مانيتون، الذى سجَّل تاريخ مصر باليونانية، من أجل الفرعون بطليموس الأول، فى حوالى سنة 300 ق.م، وقد قسَّم ملوك مصر إلى حوالى ثلاثين مجموعة، وسُميت هذه المجموعات الأُسَر الحاكمة. وعادة ما كان التقسيم يعتمد على وجود عائلات حاكمة مختلفة.

كذلك، فقد تمّ تقسيم الفترات الزمنية الكبرى، وسميت الفترات الرئيسية باسم الدولة القديمة (حوالى 2735 - 2195ق.م)، والدولة الوسطى (حوالى 2064 - 1797ق.م)، والدولة الحديثة (حوالى 1560 - 1090ق.م). وبين الدولة القديمة والدولة الوسطى، وبين الدولة الوسطى والدولة الحديثة، توجد فترة اضمحلت خلالها سلطة الدولة المركزية؛ وتعرف اصطلاحًا بمرحلة الانتقال .

الحكم

كان الفرعون هو أقوى شخص فى المجتمع المصرى، وهو المسئول عن كل المؤسسات الدينية والسياسية. وكان يختار كل أفراد السلطة الحاكمة، وكل الكهنة الرئيسيين، الذين كانوا عادة من أفراد عائلته. كذلك كانت وظيفة الملك تُعَدُّ وظيفة إلهية، حيث كان الملك يمثل إلهًا يُدْعى «حورس»، وهو ابن لاثنين من الألهة البارزة، وهما «أوزيريس» و«إيزيس». ومن بين ألقاب الفرعون لقب «ابن رع»، وهذا اللقب يُظهِر أن الملك كان مرتبطًا جدًّا بإله الشمس «رع». ومن منظور روحى، فإن الدور الأساسى للملك كان الحفاظ على «ماعت». ومن الصعب ترجمة ماعت بدقة، لكنها تتضمن الحق، والعدالة، ومبدأ التناغم فى الكون.



هذه اللوحة تظهر العمال وهم يحملون آنية ذات حمولات كبيرة كانت تسمى الجرار.

فى أثناء الدولة الحديثة، كانت العاصمة منف هى مقر الحكومة والإدارة، وكانت تقع فى ملتقى الطرق بين مصر العليا ومصر السفلى. لكن العاصمة الدينية والطقسية عادة ما كانت هى طيبة، فى جنوبى مصر (العليا). كانت طيبة هى مركز العبادة للإله «آمون» ومعناه: الخفى. وأصبح هو الإله الأعظم بين كل الألهة أثناء الدولة الحديثة، وكثيرًا ما كان يرتبط بأهم إله للدولة القديمة، وهو «رع» إله الشمس، وصار اسمهما معًا «آمون - رع».

الإمبراطورية

شملت الإمبراطورية المصرية أراضى فى الشمال والجنوب. معظم النوبة فى الجنوب، كان يحكمه نائب للفرعون المصرى، وكان يُعرَف باسم ابن ملك «كوش». وفى سوريا وفلسطين، كان الموقف أكثر تعقيدًا. إذ كانت هذه المناطق مكونة من دويلات صغيرة مستقلة، محاطة بقوى أكبر تتساوى فى قوتها مع مصر، ومن بينها



الإمبراطوريات الميتانية، والآشورية، والحيثية.

سمح الفرعون للدول الصغيرة أن تُبقى على قادتها، الذين عادة ما كانوا ينالون التعليم فى بلاط الفرعون المصرى. وكان يُفرَض على هؤلاء الرجال أن يُقْسِموا بِقَسَم الولاء للدولة المصرية، وأن يرسلوا الضرائب، فى شكل أطعمة، ومشروبات،



تمثال نصفى من الحجر الجيرى الملون لـ«حتشبسوت»، ابنة «تحتمس الأول». وقد تزوجت من «تحتمس الثانى»، وفيما بعد حكمت مصر.

وبضائع أخرى. غير أن القوى الكبرى دخلت فى حروب متتابعة للسيطرة على هذه الدول الصغرى. وكان الجيش المصرى يتكون من جزء مركزى، يشمل الجنود المتفرغين للجندية، الموزعين بين الحاميات العسكرية فى مصر، والنوبة، وفلسطين.

ولكن باستطاعة الفرعون أن يجند إلزاميًا جنودًا إضافيين بالجيش، من المعابد، والموظفين الحكوميين الآخرين، عندما كان يَتم التخطيط لمهام واسعة النطاق.

حتشبسوت

كانت «حتشبسوت» شخصية مميزة فى التاريخ المصرى القديم؛ لأنها حكمت مصر رغم كونها امرأة. وعلى الرغم من أن علماء الآثار غير واثقين من تاريخ حكمها، فإنه من المعتقد أنها حكمت إما فى الفترة من سنة 1504 - 1482ق.م، وإما من سنة 1479 -1457ق.م، عقب بداية الفترة المعروفة باسم الدولة الحديثة. إننا نعلم عن الأحداث الكبرى فى فترة حكمها، ويرجع الفضل فى ذلك للنقوش العديدة التى أمرت بنقشها، سواء فى معبدها الجنائزى فى الوادى الغربى لطيبة، أو فى معبد آمون فى الكرنك. غير أننا نعلم أقل من ذلك بكثير عن حياتها الشخصية، حيث لا يُوجد سوى القليل جدًّا من الوثائق الخاصة التى كتبتها هى، أو كُتِبَت عنها، بل إننا لا نعلم حتى ماذا كان شكلها. وتتفق هذه الفجوة فى معرفتنا مع حقيقة أن تمّ تدمير الكثير من آثارها ونقوشها، بعد موتها بفترة وجيزة جدًّا.

ومع ذلك، فإن «حتشبسوت» تمتعت بالتأكيد بفترة حكم ناجحة ومزدهرة. وكانت زوجة لفرعون، وكذلك كانت عمة لفرعون تولى الحكم بعدها.

أسرة التحامسة

إن أول فرعون من الدولة الحديثة، وأول ملك ينتمى إلى الأسرة الثامنة عشرة، كان اسمه «أحمس الأول». وقد حكم منذ 1550 وحتى 1525ق.م.

لقد حارب «أحمس» وأخوه «كامس» وأبوه «سقنن رع تاعا» الهكسوس واستطاعوا هزيمتهم. وكان الهكسوس هم الحكام الأجانب الذين جاءوا من المناطق الشمالية فى كنعان وسوريا، وقد حكم الهكسوس مصر لمدة حوالى 200 سنة. وهذا يعنى أن «أحمس» كان أول فرعون مصرى بعد فترة دامت لأكثر من 200 سنة، وقد تمكّن من أن يفرض سيطرته على كل أجزاء مصر.

جاءت عائلة «أحمس» من مدينة «طيبة»، فى جنوب مصر (العليا). و على الرغم من أن «منف» ظلت هى العاصمة السياسية لمصر، فإن «طيبة» أصبحت أكثر أهمية فى الدولة الحديثة. فقد كانت

مركزًا لعبادة أهم إله، هو الإله «آمون»، وكذلك فإن معظم الفراعنة فى الدولة الحديثة اختاروا أن يدفنوا فى وادى الملوك غرب طيبة.

أمنحتب الأول

مات «أحمس» شاباً، ربما فى الخامسة والثلاثين من عمره، وتولى الحكم بعده ابنه «أمنحتب الأول»، الذى أصبح الفرعون الثانى فى الأسرة الثامنة عشرة. وفى بداية حكمه فى سنة 1517ق.م، كان «أمنحتب» يتلقى مساعدة من والدته، «أحمس نفرتارى»، التى كانت بمثابة الوصّى على العرش، حتى كبر «أمنحتب» بما يكفى ليتولى الحكم بنفسه. كذلك حصلت «أحمس نفرتارى» على لقب زوجة الإله «آمون». وهذا يعنى أنها صارت كاهنة مسئولة عن بعض الطقوس الدينية فى معبد الكرنك. وحقيقة أن «أحمس نفرتارى» تولت مهامٌ دينية وسياسية هامة تُظهِر أن السلطات الحاكمة فى الأسرة الثامنة عشرة، لم تعتقد أنه من الغريب السماح للنساء الملكيات أن يلعبن أدوارًا بارزة وقوية.

وفى أثناء معظم فترات الدولة الحديثة، كان أهم إله فى مصر هو «آمون-رع»، وقد كان بشكل ما إلهًا مركبًا من إلهين، وهما «آمون» إله «طيبة» وإله الشمس «رع». وكان المعبد الرئيسى لعبادة «آمون-

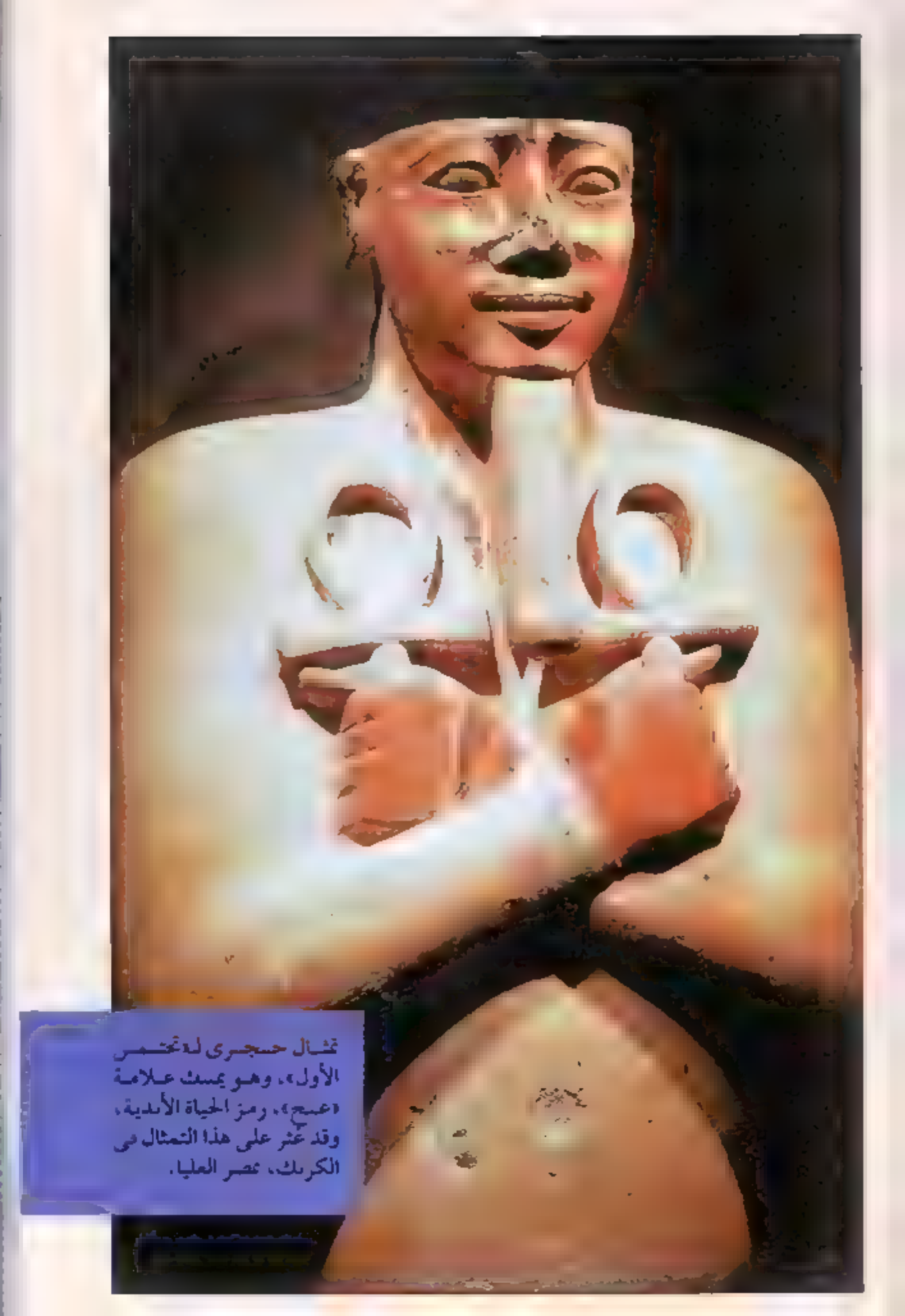
رع» هو معبد الكرنك الضخم فى طيبة.

تزوج «أمنحتب الأول» من «ميريت - آمون». ونحن نعرف أنهما لم ينجبا أى أطفال ذكور، أو على الأقل لم يكن لهما أبناء ذكور تجاوزوا مرحلة الطفولة. غير أنه ربما كانت تُوجَد أخت أو ابنة لهما اسمها «أحمس»، على الرغم من أن هناك اختلافًا بين علماء المصريات بشأن الأبوين الحقيقيين لـ«أحمس». وقد علمنا بوجودها لأن الفرعون التالى، «تحتمس الأول»، بنى مراعمه لأحقيته بالعرش على أساس أنه كان زوجًا لها.

تحتمس الأول

كان «تحتمس الأول» جنديًّا فى منتصف العمر، حينما أصبح الفرعون الثالث فى الأسرة الثامنة عشرة، وحاكم مصر فى سنة 1496ق.م.، ويرجع سبب شهرته لكونه أول الفراعنة المحاربين العظماء فى الدولة الحديثة. إذ إنه قاد حملات عسكرية ناجحة جنوبًا إلى النوبة، وشمالاً إلى سوريا، وهناك وضع لوحًا حجريًّا تذكاريًّا يُظهِر أنه استطاع الوصول حتى نهر الفرات.

أحد أهم مصادرنا الرئيسية للمعلومات عن الحملات العسكرية التى قام بها «تحتمس الأول» تأتى من مقبرة جندى يدعى «أحمس



تمثال حجرى لـ«تحتمس الأول»، وهو يمسك علامة «عنخ»، رمز الحياة الأبدية، وقد عثر على هذا التمثال فى الكرنك، مصر العليا.

ابن أبانا»، الذى عاش فى مدينة تُسمّى الكاب، وهى تبعد حوالى 64 كم جنوب طيبة. إن جدران مقبرة «أحمس» مزخرفة بما يُسمى سيرة المقبرة. وهى عبارة عن قصة حياته مدونة بالصور والكتابات الهيروغليفية، على جدران مقبرته؛ حتى تتمكن الآلهة من رؤية مدى نجاحه فى حياته وفى عمله. ونحن نعلم فى هذه الحالة تحديدًا، أن الشخص الذى قام بزخرفة المقبرة، هو حفيد «أحمس» ويُدعى «باحرى» وكان يشغل منصب الكاتب، وعلى الجدار الشرقى للمقبرة، توجد صورة صغيرة لـ«باحرى» واقفًا بجوار جده.

لقد عاش «أحمس بن أبانا» فترة طويلة جدًّا حيث إنه كان جنديًّا، حارب تحت قيادة أربعة حكّام مختلفين، جاءوا بالتتابع. كما كان قائدًا حربيًّا كبيرًا تحت حكم الملك «تحتمس الأول». «لقد كنت شجاعًا فى حضوره فى المياه الآسنة، عند سحب السفينة عبر الجندل. ومن أجل ذلك تم تعيينى قائدًا لطاقم السفينة». وقد وصف الحملة الشمالية قائلاً:

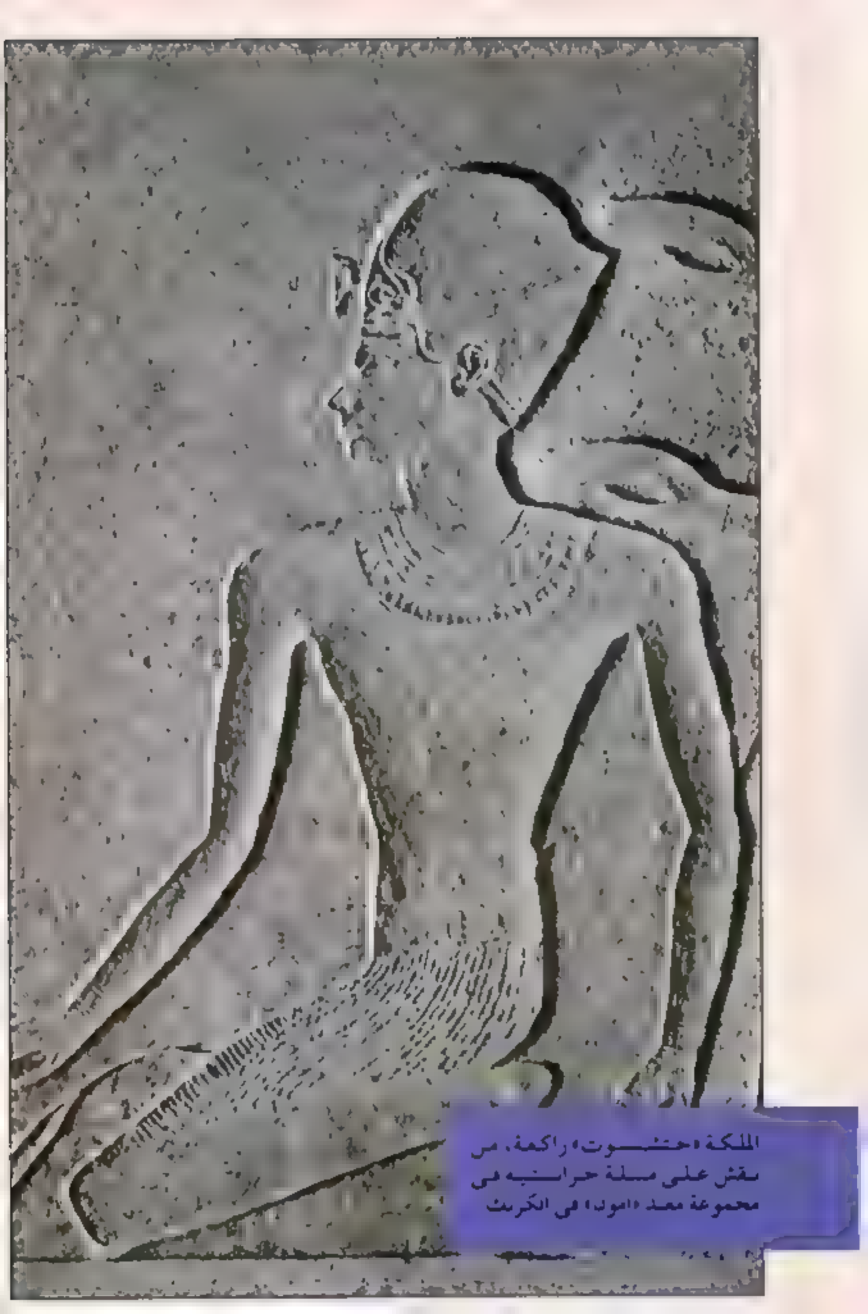
> تقدم (الملك) نحو رتنو (سوريا)، ليصبَّ غضبه على الأراضى. وعندما وصل جلالته إلى ناهرينا، وجد جلالته أن الخصم ينظم قواته. عندها أوقع بهم جلالته مذبحة كبرى. وكان الأسرى الأحياء الذين جلبهم جلالته معه

من غزواته بأعداد لا تحصى.

كذلك ركز «تحتمس الأول» على تحسين العاصمة الملكية الجديدة في طيبة. وقد ساعده في ذلك رجل اسمه «إنيني»، الذي كان حاكمًا نضيبة ومن ألقابه: الأمير ولي العهد، والقيِّم، ورئيس كل الأعمال في الكرنك. وتأتي القائمة الرئيسية لمنجزاته من سيرة مقبرته.

أصبح «إنيني» مشرفًا على مشروعات البناء الخاصة بالملك وكان مسئولاً عن تطوير معبد الكرنك، ومن بين التحسينات، إقامة صرحين، وبناء المسلتين اللتين ارتفعتا لحوالي 72 مترًا. «كنت أراقب تشييد مسلتين، وبناء السفينة التي يبلغ طولها 63 مترًا، وعرضها 21 مترًا؛ حتى نتمكن من نقل هاتين المسلتين. وقد وصلتا في أمان، سالمتين، واستقرتا في الكرنك».

المسلة نحت حجري يعلوه هرم صغير، يعرف بالهُرَيم. وعادة ما يَتمُّ تغطية المسلة كلها بالكتابات. وكذلك كثيرًا ما كان الهُرَيم يُغَطَّى برقائق من الذهب حتى يعكس أشعة الشمس، وكانت المسلات طويلة للغاية، حتى تكون أول شيء تسقط عليه أشعة الشمس في الصباح. كذلك كان الهدف من المسلات أن تُصور الأشعة الأولى من الشمس، وكانت لذلك رمزًا هامًّا لعبادة إله الشمس.



الملكة «حتشبسوت» راكعة، من نقش على مسلة جرانيتية في مجموعة معهد «امود» في الكويت

الحياة العائلية

كانت للملك «تحتمس الأول» زوجتان، إحداهما تُدْعى «أحمس»، والثانية تدعى «موت - نوفريت». ومن غير الواضح ما إذا كان قد تزوج المرأتين فى الوقت نفسه، أم صارت «أحمس» الزوجة الثانية بعد موت زوجته الأولى.

كان لـ«تحتمس» ثلاثة أبناء من زوجته «موت - نوفريت»، وهم «واج موسى»، و«آمون موسى»، و«تحتمس». وكان له، على الأقل، بنتان من زوجته «أحمس»، أسماهما «حتشبسوت» و«نفروبتى». وتوفيت نفروبتى عندما كانت صغيرة فى عمر الطفولة. وعاش «آمون موسى» و«واج موسى» حتى سن صباهما. كما أطلق على «آمون موسى» لفترة وجيزة لقب قائد الجيش العظيم، مما يُشير إلى أنه قد تمَّ تتويجه أميرًا ووليًّا للعهد. غير أنه مات وهو صغير، مخلفًا وراءه الابن الثالث، «تحتمس»؛ ليكون وريثًا للعرش.

عاشت «حتشبسوت» وإخوتها مع أمهاتهم فى قصر منفصل للنساء، وبقية الأقارب من النساء، والكثير من الخدم. ونحن نعرف أن «حتشبسوت» كانت تحب بصفة خاصة مربيتها «سات رع»، وعُرِفَت بعد ذلك باسم «إينت»، لأن «حتشبسوت» فيما بعد أمرت بتشييد تمثال يصور «حتشبسوت» ملكةً تجلس على ركبتى مربيتها، وأمرت أن



صندوق لأدوات الزينة يخص زوجة مسئول مصرى رفيع المستوى.

يُوضَع هذا التمثال فى معبدها الجنائزى.

كانت القصور الملكية فى الدولة الحديثة معروفة باسم قصور الحريم. وتتكون من قرية صغيرة محاطة بجدار من الطوب اللبن. وكانت خلف الجدران حدائق مملوءة بالأشجار والزهور والفواكه والخضراوات، وبرك مائية، بل فى بعض الأحيان، قد تصل إلى بحيرات صغيرة حيث يمكن للناس أن يجلسوا إلى جانب المياه لتلطيف الجو أثناء الطقس الحار. كانت هذه المجمعات الملكية عادة ما تضم أيضًا مطبخًا مستقلاً ومخبزًا لإنتاج الخبز، ومصنعًا لإنتاج شراب الشعير، ومنطقة لذبح الحيوانات. ذلك، بالإضافة إلى صفوف من المخازن.

لقد عاشت العائلة الملكية بالفعل فى مبنى منفصل فى داخل المُجَمَّع الملكى. وكان هذا المبنى يتكون عادة من بناء مربع





هذه الصدرية مصنوعة من الذهب ومصقولة بحجر نفيس على شكل جعران وكانت الصدرية زينة يتم ارتداؤها على الصدر.

تشكل، بداخله فناء واحد على الأقل. وكثيرًا ما كان هذا الفناء غير مسقوف، وبه بركة غير عميقة فى المنتصف. وكانت الغرف تنفتح كلها على هذه المنطقة المركزية. ومن بين الغرف، كانت غرفة كبيرة لجلوس، وأحيانًا كان يُوجد بها مقعد بارز مميز، مبنى بجانب الجدار، فى أحد أطراف الغرفة؛ حيث ينبغى أن يجلس الملك، بالإضافة إلى صفوف من المقاعد الطويلة، من أجل الزوار، مبنية إلى جوار الجدران الأخرى.

أحيانًا كانت توجد بغرف النوم، مصطبة مرتفعة مخصصة للنوم، مبنية من الطوب اللبن. أما فى الحالات الأخرى، فقد كان الناس ينامون على أسرّة خشبية عليها شرائط متقابلة عند المنتصف، تجعلها مريحة. كما كانت هناك حمامات، بكل منها مكان للاغتسال، ومكان آخر يستعمل كمرحاض. كذلك كان يُوجد العديد من السلالم التى تُؤدّى إلى سطح المبنى.

وفى بلد مثل مصر، يتمتع بمناخ حار وقليل من الأمطار، فإن الكثير من الأنشطة اليومية تحدث فى الهواء الطلق. وكانت الأسطح بها مظلات، وهذا هو المكان الذى كان الناس يتناولون فيه طعامهم فى أغلب الأوقات، أو يستريحون فى فترة ما بعد الظهيرة. وكان المكان يكتظ بالعشرات من الخدم، من بينهم المربيات والخادمات والطهاة

والمنظفون والبستانيون. كما كان هناك أيضًا موظفون، لديهم ألقاب مثل مراقب الحريم؛ للتأكد من سير كل الأمور على نحو ملائم.

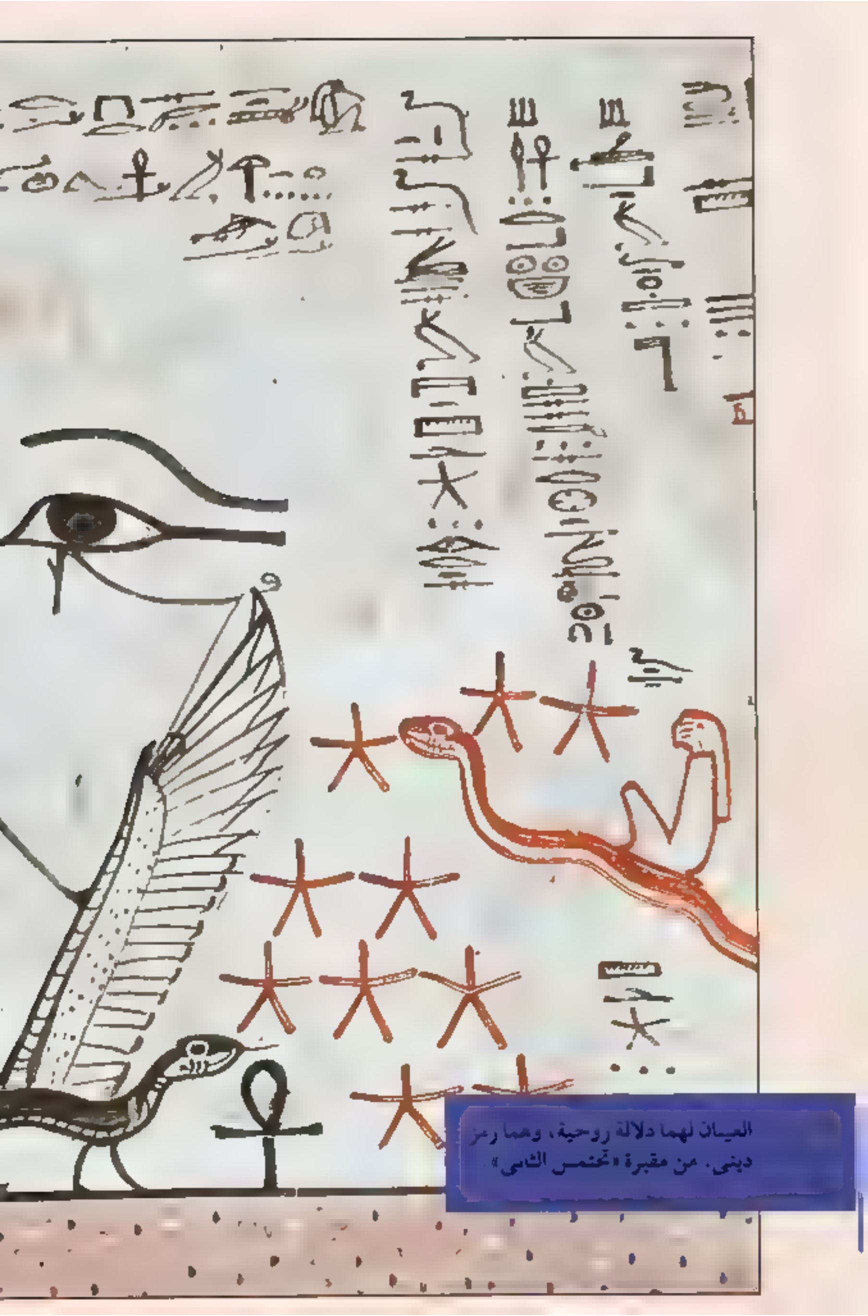
وعلى الرغم من أن أخوة «حتشبسوت» تعلموا القراءة والكتابة، فلا يُوجد دليل على أن البنات فى العائلة الملكية قد ذهبن قط إلى المدرسة. نحن لا نعلم إذا كانت «حتشبسوت» قادرة على قراءة الهيروغليفية، أو الهيراطيقية التى كانت كتابة مبكرة للهيروغليفية، أم لا. ومع ذلك، وكما كان للأميرات مربياتهن الخاصة، كان لهنّ أيضًا معلمون من الرجال، وبالتالى فإن هناك ما يدعو للاعتقاد بأن «حتشبسوت» ربما تكون قد تعلمت على الأقل المهارات الأساسية للكتابة والقراءة.

غير أن «حتشبسوت» بالتأكيد، تدربت على المهارات الضرورية لملكة مصر. فقد كانت المرشحة الأكثر احتمالاً للزواج من رجل سيصير الملك القادم لمصر. لقد حازت جدتها وأمها على اللقب الكهنوتى الهام وهو زوجة الإله «آمون»، كما تعلمت «حتشبسوت» الطقوس والواجبات الدينية الخاصة بهذا المنصب، وكذلك أهمية مثل هذه الطقوس والغرض منها. ونظريًا، فإن من يتم اختيارها زوجةً للإله «آمون» عليها أن تذهب يوميًا إلى المعبد الكبير للإله «آمون». وكانت هى ورئيس كهنة «آمون» يقومان طقسيًا بتدمير تماثيل صغيرة تمثل أعداء الإله، ثم الاغتسال فى البحيرة المقدسة القريبة من

معبد، وإعداد الطعام والشراب لتمثال الإله.

هناك الكثير من الأمثلة الواقعية فى المتاحف لملابس خاصة المصريين القدماء. هذه الملابس غالبًا ما كانت تُصنع بشكل جميل وبمهارة عالية من خيوط رقيقة جدًّا، تستخرج من نبات الكتان. ونحن نعرف أن المصريين كان باستطاعتهم إنتاج خامات جميلة ورقيقة جدًّا، بها ثنيات صغيرة جدًّا أو حواف مصنوعة من نسيج ملون بنماذج من الزهور أو الطيور. ومن بين الملابس التى وجدت فى مقبرة «توت عنخ آمون»، الذى مات عندما كان عمره يناهز العشرين عامًا، بعض القطع المزخرفة بعُقَد أو أشغال معدنية. وبالإضافة إلى قمصانه وتنوراته وأرديته، وكانت لديه أيضًا أحذية وأحزمة وأغطية رأس وقفافيز.

كانت «حتشبسوت» ترتدى عادة ثيابًا بسيطة. وكانت هذه الثياب مصنوعة من قطعة نسيج بها حمالتان من على الكتفين، وفى الشتاء كان يتم إضافة أكمام طويلة إلى الحمالتين. وكان حذاؤها مصنوعًا من البردى المنسوج والمجدول معًا، أو من جلد رقيق. كما كان شعرها يُضَفَّر فى جديلة سميكة على الجانب الأيمن من رأسها. وكان لها الكثير من الحُلىّ المخصصة لشعرها، مصنوعة من الذهب والفضة والأحجار الكريمة، وكذلك قطع أخرى من الحُلىّ، ومن بينها الأساور والخلاخيل والأقراط.



العينان لهما دلالة روحية، وهما رمز
ديني. من مقبرة «تحتمس الثاني»



وفى بعض الأوقات، وفى مناسبات خاصة، كانت «حتشبسوت» ترتدى أيضًا ثوبًا خارجيًّا مصنوعًا كليًّا من خرزات صغيرة ملضومة معًا، وفى الوقت الراهن، هناك عدة أمثلة لتلك الثياب فى المتاحف. كما كان من بين اللعب التى تلعب بها، بعض الكرات ونماذج للحيوانات، كما كان عندها أيضًا، عرائس من الخشب ترتدى الملابس، وكان لبعضها عدد من الملابس تغيرها عند اللزوم.

الممارسات الجنائزية الملكية

وفى عصر الدولة القديمة والوسطى، كان الفراعنة يدفنون فى مجموعات هرمية فى شمال البلاد، سواء فى الجبانة الكبرى بالقرب من العاصمة منف، أو إلى الجنوب منها قليلاً بجوار الفيوم، قريبًا من عاصمة الدولة الوسطى فى «إتى- تاوى» (ربما بالقرب من دهشور).

مات الملك «تحتمس الأول» والد «حتشبسوت» فى سنة 1492ق.م، وكان أول فرعون مصرى يُدفَن فى مقبرة فى وادى الملوك. ويُعَدُّ وادى الملوك واديًا منعزلاً وموحشًا، فى المرتفعات الصخرية التى تقع على الناحية الغربية لنهر النيل، فى مواجهة مدينة طيبة.

إن «إنينى»، حاكم طيبة، الذى كان أيضًا مسئولاً عن هذا المشروع، سجّل فى مقبرته عن نفسه قائلاً: «كنت مشرفًا على أعمال حفر مقبرة

حلالته فى الجرف ، بمفردى، دون أن يرى أحد، أو يسمع».

كان أكبر عيب للدفن تحت أحد الأهرامات، أن الجميع يعرفون مكان الجثمان. وعبر التاريخ المصرى، وخاصة فى فترات عدم الاستقرار الاجتماعى، كانت عمليات سرقة المقابر الملكية مشكلة كبرى للدولة المصرية. فقد كان الجميع يعرفون أن هناك ملكًا أو ملكة مدفونًا إلى جوار كمية كبيرة من الذهب والحلى والممتلكات النفيسة. هذه الثروات لم تكن فقط مدفونة فى المقبرة، لكنها أيضًا كانت تحيط بالجثة الملكية. وفى الحقيقة، فإن كل مواقع الدفن الملكى تقريبًا، قد تعرضت للتحطيم والسرقة، وعادة كان يحدث ذلك بعد الدفن بفترة قصيرة.

حاول الكهنة والمسئولون المصريون أن يحرسوا المقابر لمواجهة هذه السرقات، ولكن كان عليهم فى كثير من الأحوال، أن يعيدوا فتح

الحديثة. أولاً: لم يعد الملوك وعائلاتهم يدفنون فى المجموعات الهرمية، بل كانوا يُدْفَنون عادة بالقرب من طيبة، فى الجنوب، بدلاً من الشمال. وذلك أساسًا لأن العائلة الملكية من الأسرة الثامنة عشرة أتت من الجنوب، ومن الواضح أنها كانت مرتبطة أكثر بمنطقتها وبالمكان الذى دُفِنَ فيه أجدادها. ثانيا: أصبح تصميم مجموعة الدفن الملكى موزعًا على قسمين. المقبرة نفسها كانت مخفية. أما المعبد الجنائزى، الذى كان فى السابق جزءًا من المجموعة الهرمية، فقد صار بناءً منفصلاً فى مكان مختلف. وفى هذا المكان استطاع كهنة المجموعة ممارسة شعائرهم التى تتضمن عبادة الملك المتوفى.

الملك تحتمس الثانى وحتشبسوت

سنة 1492ق.م خلف «تحتمس الأول» ابنه الوحيد الباقى على قيد الحياة، وهو «تحتمس الثانى»، وتضم الألـقاب الملكية للفرعون الجديد خمسة أسماء عظيمة حصل عليها، يوم تتويجه. كانت هوية الملك الجديد واهتماماته، تنعكس كثيرًا فى الأسماء المختارة. فالاسمان الأخيران للملك، كان يتم نقشهما فى الخرطوش الملكى، وهو شكل بيضاوى زخرفى. أحدهما هو الاسم الرسمى للملك، وكان يُسْتَخدم من أجل أمور مثل البيانات الرسمية والتعاملات الأجنبية، ويحمله عند اعتلائه العرش. أما الاسم الأخير، فقد كان الاسم الشخصى للملك، وهو الاسم الذى كان يُستَخدَم من قِبَل عائلته وأصدقائه، ويطلق عليه عند الولادة.

اختار «تحتمس» لقب «عا خبر إن رع» (يصير عظيمًا مثل رع) ولقب «تحتمس» (تحوت قد وُلِدَ)،

وهو الاسم الذى ربما اشتهر به فى مرحلة تنشئته.

احتفظ «تحتمس» باسم «تحوت» باعتباره إله الكتابة والمعرفة. وكان أيضًا مرتبطًا بقوة بالقمر.

من المؤكد أن «تحتمس الثانى» كان قد تزوج من «حتشبسوت» عندما اعتلى العرش. وبدأ حكمه بالأسلوب التقليدى، مع زوجته، «حتشبسوت». وتختلف التقديرات الحديثة فيما يتعلق بعمرهما عندما أصبحا ملكًا وملكة، ولكن يتفق معظم المؤرخين على أنهما كانا فى مرحلة المراهقة على ما يعتقد.

ومع أن الفرعون «تحتمس الثانى» يُعَدُّ شخصية غامضة فى التاريخ المصرى القديم، فإننا نعرف أن «تحتمس الثانى» واصل سياسات أبيه العسكرية، وقاد حملات فى النوبة فى الجنوب، وفى سوريا فى الشمال. كما نعرف، على سبيل المثال، أنه قد نشب تمرد ضد الحاكم المصرى فى النوبة، خلال السنة الأولى من حكمه. وتذكر التقارير الرسمية:

> جاء شخص ليبلغ جلالته بما يلى:« لقد بدأت كوش (النوبة) فى التمرد، وهؤلاء الذين كانوا رعايا لسيد الأرضين، زرعوا العداء، وبدأوا يلحقون الأذى به». وقد غضب جلالته من هذه الأخبار، وصار مثل الفهد، عندما

سمع بها.

قرر «تحتمس الثانى» أن الأمر يحتاج اتخاذ تصرف حازم لقمع هذ. العصيان. وقد سجل المؤرخون الرسميون:

أرسل جلالته جيشًا ضخم العدد إلى النوبة ... من أجل الإطاحة بكل هؤلاء الذين تمردوا ضد جلالته... هذا الجيش التابع لجلالته أطاح بهؤلاء البرابرة. ولم يترك الجنود ذكرًا واحدًا على قيد الحياة، بحسب تعليمات جلالته، فيما عدا أحد أطفال زعيم كوش، فقد أخذوه بعيدًا وهو حى لكى يعيش أسيرًا لجلالته.

لقد أحضروا ابن زعيم قبيلة النوبيين ليتعلم ويتدرب فى مصر، ربما نتيجة لفكرة أنهم سوف يعيدونه فى النهاية إلى النوبة، ليحكم هناك كنائب للفرعون، وهذا مثال للسياسة التى وضعها التحامسة. إذ كان يتم إحضار الشباب من العائلات الأجنبية الملكية أو الحاكمة، إلى مصر من أجل تعليمهم الأسلوب المصرى فى الحياة.

نحن نعلم أن «تحتمس الثانى» قاد حملة عسكرية واحدة ناجحة على الأقل فى سوريا. وهناك سيرة مقبرة أخرى فى إحدى المقابر بالكاب، وهذه المرة تخص جنديًا يُدْعى «أحمس بن نخبت»، يُسجل قائلاً: «لقد اصطحبت الملك «عا خبر إن رع» مبتهجًا

بالانتصار، وهناك أحضروا لى فى الأراضى البدوية الكثير من الأسرى الأحياء، لم أستطع أن أحصيهم». وهناك أيضًا جزء صغير من مدونة فى معبد فى الدير البحرى تضع قائمة بالهدايا (أو الاحتمال الأكثر ترجيحًا، غنائم الحرب) التى أحضرها «تحتمس الثانى» من سوريا، ومن بينها الأفيال.

كان «تحتمس الثانى» مهتمًا أيضًا بإكمال مشروعات البناء التى بدأها أبوه، على الرغم من أن الدلائل المتبقية عن المبانى التى أمر ببنائها، أو أكمل تشييدها قليلة، ومن جديد، نجد الحاكم «إنينى» حاكم طيبة هو الذى كان مسئولاً عن هذه المشروعات. «لقد كنت المفضل عند الملك فى كل مكان له... إننى بلغت ما كان للعصر القديم من توقير وإجلال، كما تمتعت بنعم جلالته على مر الأيام، وكنت أحصل على طعامى من على مائدة الملك».

كانت «حتشبسوت» تتصرف كملكة وشريكة «لتحتمس الثانى»، وحصلت على لقب زوجة الملك العظيمة، كما أنها صارت أيضًا زوجة الإله «آمون»، وهذا هو اللقب الذى كانت شديدة الافتخار به واستخدمته كثيرًا جدًا فى النقوش. وأنجب «تحتمس الثانى» و«حتشبسوت» ابنة اسمها «نفرو رع». كما كان لـ«تحتمس» أيضًا ابن من زوجته الثانية، «إيزيس»، وأطلق عليه أيضًا اسم «تحتمس».

فى ذلك الحين، بدأ إعداد مقبرتين من أجل الزوجين الملكيين. كانت مقبرة «تحتمس الثانى» فى وادى الملوك. ولأنه لم تكن هناك حتى ذلك الوقت جبانة خاصة لنساء العائلة المالكة، فقد اختارت «حتشبسوت» أن تُبنى مقبرتها فى المنحدرات المواجهة للنهر قبالة مدينة طيبة. وتم وضع تابوت حجرى ضخم أصفر، ودُوّنت عليه العبارات الآتية: «الأميرة العظيمة، عظيمة فى الحظوة والسمو، سيدة كل الأراضى، الابنة الملكية والأخت الملكية، زوجة الإله، الزوجة الملكية العظيمة، سيدة الأرضين، حتشبسوت». غير أنه عندما قام عالم الآثار «هوارد كارتر» بالتنقيب فى هده المقبرة عام 1916م، وجد أن أعمال البناء لم تنتهِ بها أبدًا، وظهر له بوضوح أن هذه المقبرة لم تُستخدَم على الإطلاق.

فى سنة 1479ق.م مات «تحتمس الثانى». واليوم لسنا على يقين بشأن أى مقبرة خصصت له فى وادى الملوك. فربما هى إحدى المقابر التى تكاد تكون غير مزخرفة، أو ربما يَتِمُّ اكتشافها فى المستقبل. ويرجع هذا الغموض إلى أنه قُرب نهاية الدولة الحديثة، انهار تمامًا الأمن والحماية فى وادى الملوك، وتعرضت الكثير من المقابر الملكية للاقتحام والسرقة. وبالتالى، فخلال مرحلة الانتقال الثالثة بعد حوالى 500 سنة من وفاة «تحتمس الثانى»، تم إخراج الكثير من المومياوات الملكية من مقابرها،



العمال يحفرون ويحملون الأحجار لاستخدامها فى أعمال البناء.

وإخفاؤها فى مقبرة جماعية بالقرب من الدير البحرى. وعندما اكتشفت هذه المقبرة فى سنة 1881م، نقلت كل المومياوات عبر النيل إلى المتحف المصرى فى القاهرة.

وكُشف النقاب عن مومياء «تحتمس الثانى» سنة 1886م، على يد عالم المصريات الفرنسى جاستون ماسبيرو. ووجد ماسبيرو أن مومياء «تحتمس» تعرضت لأضرار بالغة على أيدى لصوص المقابر القدماء. فوجد أن ذراعيه، وإحدى رجليه قد كُسِرت وانفصلت عن جثته، ثم أُعِيدت وتم ربطها فى مكانها. لكن ماسبيرو تمكن من ملاحظة أن «تحتمس الثانى» كان طوله حوالى 1,67م، وجهه لطيف، ملامحه وديعة. وشعره خفيف، ورأسه صلعاء فى جانب منها.





تمثال للملك «تحتمس الثالث»

وصية الملكة على العرش

كان الحاكم المنتظر لمصر هو الوريث الملكى الذكر التالى، وهو ابن «تحتمس الثانى» من زوجته الثانية إيزيس. وربما كان عمر الصبى أقل من عشر سنوات عند وفاة والده، ومع ذلك، فقد اعتلى العرش، ولُقِّب «من خبر رع»، بصفته ملك مصر العليا ومصر السفلى، وكان يحمل لقب «تحتمس الثالث»، بصفته ابن «رع».

تُرى ماذا كان وضع «حتشبسوت» آنذاك؟ كان عمرها فى ذلك الوقت حوالى ثلاثين عامًا. وقد مات أبوها وزوجها. وكانت زوجة فرعون. وكانت لا تزال شابة، ويمكن أن تتزوج مرة أخرى، وتؤسس لها أسرة جديدة. ولكن تُرى، من سيكون زوجًا ملائمًا لمثل هذه المرأة القوية؟ كما أن أى زوج سيكون فى موقف قوة، قد يدفعه إلى محاولة الاستيلاء على عرش مصر.

كما حدث من قبل فى الأسرة الثامنة عشرة، عندما جاء طفل إلى العرش، فقد دُعِيت «حتشبسوت» لكى تقوم بدور الوصى على العرش لهذا الفرعون الصغير. وهذا يعنى أنها كانت مطالبة باستخدام كل خبراتها لمساعدته فى الحكم، إلى أن يكبر بما يكفى ليتولى الحكم بنفسه.



نحت جدارى للملك «تحتمس الثالث»،
من معبد «آمون» فى الكرنك بمصر.

غير أن تلك كانت المرة الأولى التى يُطلَب فيها من ملكة أن تتولى الوصاية على شخص ليس ابنها، بل هو ابن زوجها من امرأة أخرى، وهى امرأة أقل أهمية، وأقل بكثير فى مكانتها الملكية. فى الحقيقة، كان باستطاعة «حتشبسوت» أن تزعم لنفسها أن عروقها يجرى فيها دم ملكى، أنقى بكثير من دماء الحاكم الحالى. لكن مشكلتها أنها كانت امرأة، ولا يمكن للمرأة أن تصبح فرعونًا.

ليس لدينا دليل على طبيعة المشاعر والأفكار التى كانت تجول بخاطر «حتشبسوت»، وقد حرصت طوال السنوات القليلة الأولى من حكم «تحتمس الثالث» أن تؤدى كل واجباتها كملكة تولت الوصاية على العرش. فعلى سبيل المثال، فى السنة الثانية من حكم «تحتمس الثالث»، تم الانتهاء من تشييد معبد فى سمنا بالنوبة. وقد حل هذا المعبد محل معبد آخر سبق أن شُيد فى هذا المكان إبان الدولة الوسطى. وكان مكرسًا لذكرى فرعون من الدولة الوسطى اسمه «سنوسرت الثالث» وللإله النوبى «ددون». وهناك مدونة فى المعبد أسفل صورة «ددون» وهو يعانق «تحتمس الثالث»، مفترض أنها تنقل كلمات قالها الإله نفسه. فنقرأ: «ابنى الحبيب «من خبر رع»، كم هو جميل ذلك المبنى البديع، الذى بنيته لابنى المحبوب ملك مصر العليا والسفلى، «خع كاو رع» «سنوسرت الثالث». لقد خلَّدت اسمه للأبد».



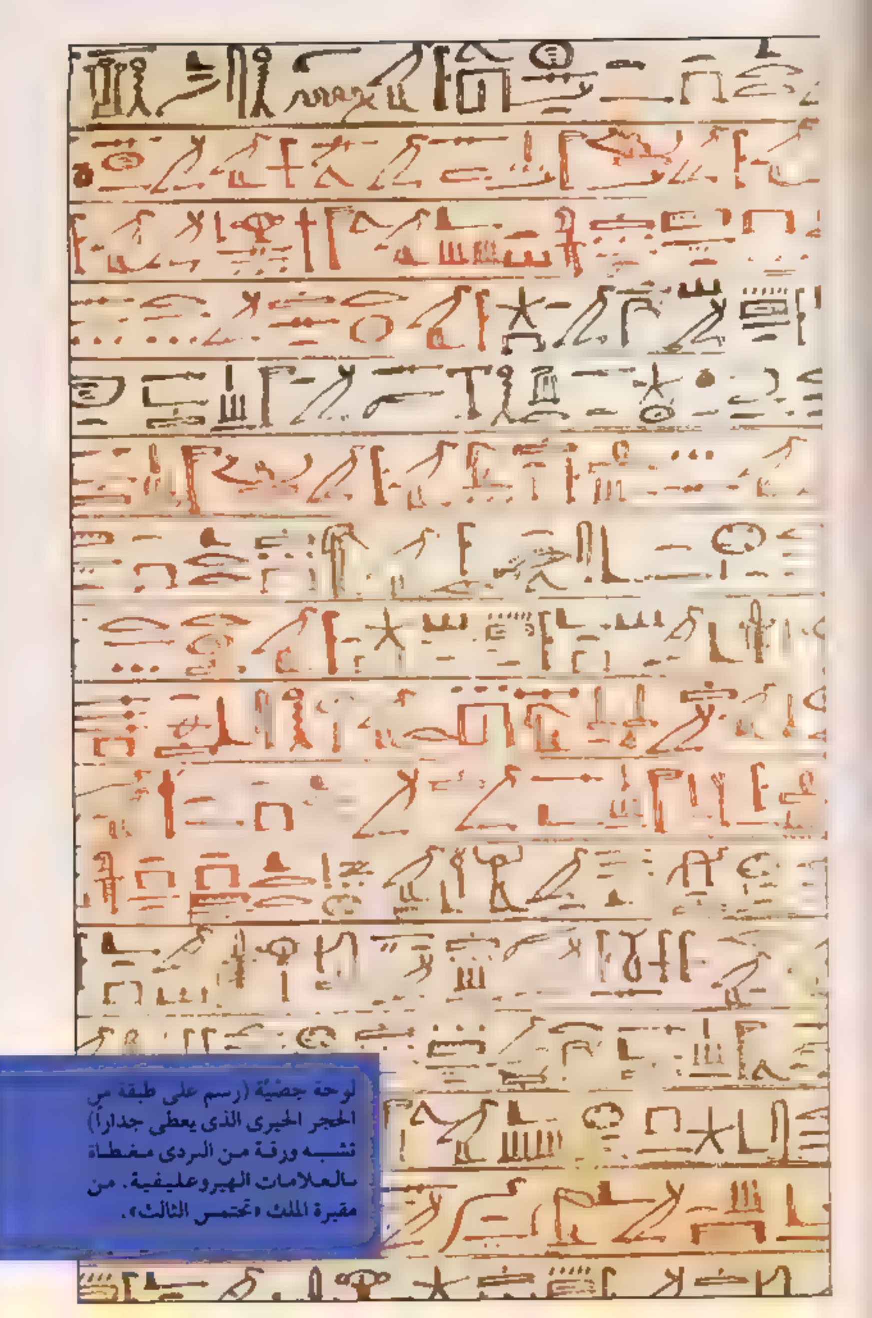
سحت جدارى يظهر حديقة نباتية بها
باتات وحيوانات تم جلبها لمصر من سوريا.



ولاحظ أنه لا يُوجد أى شكر يُوجه إلى «حتشبسوت»، وبالفعل فإن اسمها يكاد لا يُذكر على الإطلاق فى المعبد.

هناك بعض المعلومات التى تفترض أن «حتشبسوت» ربما كانت تسلك مسلك الملكة أكثر مما هو متوقع من الوصىّ على العرش. وتُوجد مدونة فى مقبرة الحاكم «إنينى»، الذى كان قد ظل فى خدمة ثلاثة ملوك يحملون جميعًا اسم «تحتمس»، وكان رجلاً عجوزًا للغاية، وتقول هذه المدونة: «لقد وقف ابنه فى مكانه بصفته ملكًا على الأرضين، بمجرد أن صار حاكمًا على عرش الرجل الذى أنجبه. إن أخته الشريكة الإلهية، «حتشبسوت»، حكمت الأرض، وكانت الأرضان تحت سيطرتها. وصارت مصر تعمل أمامها بخضوع شديد».

كما وصلتنا معلومات أخرى من مدونة على مبنى يُعرَف الآن اصطلاحًا بالمقصورة الحمراء. وكان فى السابق مبنى ضخمًا شيدته «حتشبسوت» ليستقر فيه قارب الإله «آمون» فى معبد الكرنك. كان القارب مركبًا خشبيًّا صغيرًا مطليًّا بالذهب وكان يُستخدم لنقل تمثال الإله. وهناك الكثير من التصاوير على جدران المعبد لكهنة يحملون مثل هذه القوارب بين معابد طيبة، وعبر شوارعها إبان الاحتفالات الدينية. لقد أُطلق على المقصورة الحمراء هذا الاسم؛ لأنها كانت مبنية من حجر الكوارتز الأحمر اللون، وكان



لوحة جصّية (رسم على طبقة من الحجر الجيرى الذى يعطى جداراً) تشبه ورقة من البردى مغطاة بالعلامات الهيروغليفية. من مقبرة الملك «تحتمس الثالث».

المبنى مغطى بالكامل بنقوش تصف الأحداث خلال حكم «حتشبسوت». ولكن ما يدعو للأسف بالنسبة إلى العلماء المعاصرين، أنه فى لحظة ما بعد وفاة «حتشبسوت»، قام «تحتمس الثالث» بهدم المبنى، وطوال آلاف السنين ظلت كتل المبنى مختفية كحشو لجدران أخرى، وكأساسات لها. وقد تم اكتشافها فى خمسينيات القرن العشرين. وأُعِيدَ بناء المبنى مؤخرًا ليظهر من جديد على أرض معبد الكرنك.

ويصف أحد النقوش على جدران هذه المقصورة، الاحتفال الدينى فى معبد الأقصر المجاور، والذى أقيم فى السنة الثانية لحكم «تحتمس الثالث». وعادة ما كان يتضمن هذا الاحتفال طقسًا دينيًّا يقوم فيه إله معبد الأقصر بمساعدة الملك لإعادة تأكيد مكانته الملكية، واتحاده مع روحه الملكية، أو«كا». إن الاحتفال لم يسِرْ فى هذه المناسبة حسب الخطة الموضوعة، إذ قرر الإله أن يُفصح عن إعلان فريد.

تصف «حتشبسوت» ما حدث على النحو الآتى: «لقد جاء وحى عظيم فى حضرة هذا الإله الطيب ليهبنى مُلك الأرضين، لتهابنى مصر العليا والسفلى، كان ذلك فى السنة الثانية... وفى اليوم الثالث من احتفال الإله «آمون»... وتم تنصيبى على الأرضين».

وفُسِّر ذلك على أن «حتشبسوت»، والفرعون الحالى قد علما معا

أن «حتشبسوت» هى وريثة العرش، وسوف تكون حاكم مصر المنتظر. هذا النقش ليس له تاريخ واضح، وثمة اختلاف بين علماء الآثار حول معنى كلمة السنة الثانية، وإذا ما كان الملك محل التساؤل هنا هو «تحتمس الأول»، أم «الثانى»، أم «الثالث». ومن المستحيل حتى أن نعرف إذا كانت هذه الحادثة قد وقعت بالفعل، أو من هو الملك الذى كان معها آنذاك، غير أنها تظل إشارة مثيرة، توضح أن «حتشبسوت» لم تكن خائفة من استخدام آلهة مصر لمساندتها فى أى ادعاء مستقبلى لها بأحقيتها فى العرش.

بقدر ما يمكننا أن نعرف، فإن السنوات القليلة التالية من حكم «تحتمس الثالث»، مرت بلا أى أحداث مهمة. ولكن تعاظم إحساس «حتشبسوت» بعدم الرضا عن الدور الذى تلعبه من وراء الستار. فبدأت تعمل بالتدريج لتلعب دورًا أكبر فى حكم البلد، وفى نهاية سنة 1473ق.م، أى فى السنة السابعة لتولى «تحتمس الثالث» الحكم، تم تتويج «حتشبسوت» بوصفها ملكة شريكة فى مصر.

الملكة حتشبسوت

لقد كان دور الملكة «حتشبسوت» محلاً لتخمينات واحتلافات بين علماء المصريات منذ القرن التاسع عشر. وهناك العديد من النظريات المختلفة التى تتناول كيف، ولماذا استطاعت الوصول إلى السلطة بهذه الطريقة. وفى سنة 1828م، بينما كان «جان فرانسوا شامبليون»، وهو أول من استطاع فك رموز الكتابة الهيروغليفية، قد تناول آثارها بالدراسة، وافترض تلقائيًا أنها كانت رجلاً.. رجلاً بكل تأكيد .

ولكن مع بداية القرن العشرين، لم يجد علماء المصريات غضاضة فى قبول حقيقة أن «حتشبسوت» امرأة حكمت مصر. لقد رأى هؤلاء العلماء فى الملكة «حتشبسوت» المرأة الحكيمة الحنون التى تنشر السلام فى جميع أنحاء إمبراطوريتها.

ولكن فى السنوات المائة الأخيرة، انقسمت الآراء حولها على نطاق واسع. فيظن البعض أنها كانت مدبرة مكائد شريرة، استغلت الأساليب غير الأخلاقية لتأتى بها إلى العرش. والبعض الآخر يفترض أنها كانت زوجة أب شريرة، سرقت العرش من ابن زوجها المسكين الذى كان بلا حيلة أمامها.

لا نعرف ما مبررات «حتشبسوت» من أجل العمل على إعلان نفسها ملكة، على الرغم من أن الطموح الشخصى الجارف من الواضح أنه لعب دورًا مهمًا فى ذلك. ولكن يمكننا فقط أن نحاكمها فى الواقع، من خلال الأحداث والأفعال التى نعرفها، ومن المعروف عامة أن حكمها كملكة على مصر، كان ناجحًا للغاية. إذ تمتعت مصر بالرخاء فى ظل حكمها، وتم بناء الكثير من المبانى الجميلة والمتطورة خلال فترة حكمها. كما أنها أمرت بتنفيذ عدة بعثات تجارية جريئة، سافرت عبر مسافات طويلة بعيدًا عن مصر، وعادت بالكثير من البضائع الأجنبية الغريبة. كذلك فإن الأقاليم المصرية فى النوبة جنوبًا، وفى الشرق، وفى الشمال الشرقى كانت محمية تمامًا خلال فترة حكمها.

إن صعود «حتشبسوت» إلى الحكم حقق تقدمًا تدريجيًا خلال السنوات المبكرة من وصايتها على العرش. ولمدة سنوات كانت

كاهنة هامة فى طقوس المعبد فى طيبة؛ بوصفها جزءًا من دورها وهى زوجة للإله «آمون». وبعد فترة قصيرة من وصولها إلى العرش، كانت تؤدى أيضًا طقوس رفع القرابين مباشرة إلى الآلهة، وهو طقس عادة ما يكون مخصصًا للفرعون وحده. ومن المعروف أيضًا أنها بينما كانت لا تزال وصيّة على العرش، أمرت بأعمال بناء هامة عديدة، وهذا أيضًا فى المعتاد كان من اختصاص الفرعون وحده فيأمر به ويدفع تكاليفه. إن هذه الأفعال تجعلنا نفترض أنها كانت تدعم سلطتها وحقها فى العرش، بإظهار نفسها للآخرين وهى تقوم بواجبات الملك.

علينا أيضًا أن نعرف أنها لم يكن باستطاعتها أن تصبح فرعونًا، إلا فى حالة توصلها إلى اتفاق مع الرجال المسئولين عن الإدارة اليومية للحكم، إن لم يكن الحصول على مساندتهم الفعالة. ومن بين هؤلاء المسئولين، رؤساء الجيش، ورؤساء كهنة الإله «آمون»، وبقية المعابد الهامة فى البلاد، وهؤلاء الرجال المسئولون عن الخدمات العامة. والكثير من هؤلاء المسئولين، بمن فيهم «إنينى»، حاكم طيبة. والجندى «أحمس - بن نخبت»، قد عاصروا حكم الملك «تحتمس الأول»، و«تحتمس الثانى»، وبدا أنهم سعداء فى قبولهم لمنصب «حتشبسوت» الجديد.

وعندما تولت «حتشبسوت» الحكم اختارت بعناية الرجال الذين سيتولون المناصب الهامة. وربما شعر هؤلاء المسئولون أنهم وصلوا إلى مكانتهم ومناصبهم باستحسان منها، وأن حظهم السعيد مرتبط بحظها. وبالتالى، فمن مصلحتهم أن يدعموها لكى تصل إلى السلطة. قامت «حتشبسوت» بتنصيب رئيس كهنة جديد لـ«آمون»، وكان اسمه «حبو سنب»، وكذلك قامت بترقية رجل اسمه «سنن مُوت»، الذى عُين وكيلاً لزوجة الإله، ووكيلاً على ابنة الملكة من «تحتمس الثانى» وكذلك مربيًا لابنة «حتشبسوت»، «نفرو رع».

أتى «سنن موت» من عائلة كبيرة ومتعلمة فى أرمنت التى تبعد حوالى 24 كم جنوب طيبة. وبعد أن تولت «حتشبسوت» الحكم، ترقى «سنن موت» إلى مشرف على كل الأعمال الملكية ورئيس الخدم للإله «آمون». وقد كان «سنن موت» موظفًا كُفئًا للغاية، وبدا أنه كان أقرب المستشارين إلى «حتشبسوت» لسنوات طويلة. كما تمَّ رفع «نفرو رع» أيضًا إلى مرتبة زوجة الإله «آمون».

التتويج

لا توجد سجلات تصف اليوم الذى تم فيه تتويج «حتشبسوت». وهذا لأنها طوال بقية فترة حكمها كانت أحيانًا تفضل أن تتظاهر بأنها

جاءت إلى العرش عقب وفاة أبيها «تحتمس الأول» مباشرة، وفى أوقات أخرى، كانت تحسب حكمها من وقت وفاة زوجها، «تحتمس الثانى». وبناء على ذلك، فإن «حتشبسوت» لم تكن مهتمة حقًّا أن تأمر بعمل نقوش خاصة تصف متى وصلت بالتحديد إلى العرش.

ومن الأجزاء الهامة فى حفل تتويج «حتشبسوت»، اختيار أسمائها الملكية. كانت تلك الأسماء تستخدم من قِبَل كل فرعون رموزا لتأكيد حقه بالعرش. وتحدد هذه الأسماء علاقته بآلهة مصر، وأيضًا بالأرض نفسها. ومن الواضح أنه كان من المهم بصفة خاصة لـ«حتشبسوت» أن تؤكد ادعاءها بحقها فى العرش باختيار أسمائها الخاصة. فبصفتها ابنة «رع»، صار اسم «حتشبسوت» هو «خنوم - آمون حتشبسوت».

هناك نقش أخير على جدار معبد «حتشبسوت» فى الدير البحرى، يصف مشهدًا خياليًّا يعلن فى سياقه والدها «تحتمس الأول»، وإله الشمس «رع»، أسماءها الملكية الأخرى. يقول هذا النقش:

> لقد أمر جلالته الكهنة المرتلين أن يأتوا لكى ينقشوا أسماءها الملكية العظيمة لحظة تسلمها شارة السلطة كملك على مصر العليا والسفلى... وبعد ذلك قاموا بنقش أسمائها

كملك على مصر العليا والسفلى. وبالفعل فقد ألهم الإله
عقولهم لكى يكتبوا أسماءها بالضبط كما ألفها هو أولاً؛
اسمها العظيم: «حورس» الـ«كا» القوى، واسمها العظيم:
«صاحبة السيدتين المزدهرة سنينًا»، واسمها العظيم: «حورس
الذهبى»: هى صاحبة الإشراق الإلهى، وأخيرًا اسمها
بصفتها حاكمة على مصر العليا والسفلى: «ماعت كا رع»،
فلتحييَ إلى الأبد.

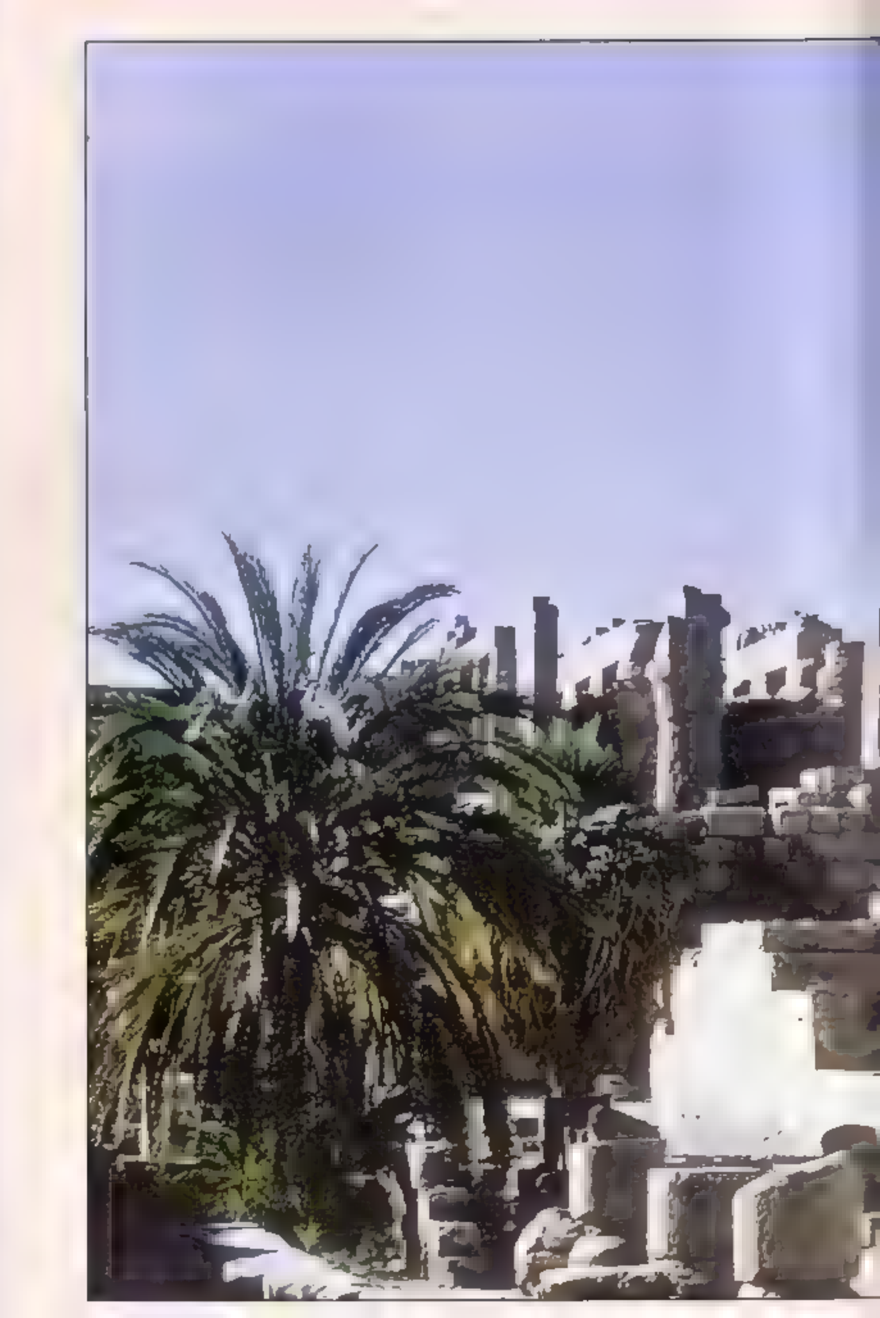
والآن وبعد أن تولت «حتشبسوت» الحكم، حوّلتْ اهتمامها إلى
واحدة من أهم المهام التى تواجه أى حاكم جديد لمصر، وهى الإعداد
لمعبدها الجنائزى الخاص، ففيه، سوف يكون روحها، أو الـ«كا»، محميًّا
للأبد، بالإضافة إلى بناء المقبرة التى تليق بعظمة الملك.

اختارت «حتشبسوت» موقعًا لمعبدها الجنائزى فى خليج صغير
بالقرب من جبال طيبة، يُسمّى اليوم «الدير البحرى»، وكانت تلك
المنطقة مشهورة قبل ذلك، سواء لكونها مركزًا لعبادة الإلهة
«حتحور»، أو بوصفها موقعًا لمقبرة أول حاكم من الدولة الوسطى،
«نب حبت رع منتوحتب».

كان هذا الموقع يواجه المدخل إلى معبد «آمون – رع» الهام فى
الكرنك على الجانب الآخر من النهر. وفى ذلك الوقت تخلت



معبد «آمون» فى الكرنك فى مصر العليا.



«حتشبسوت» عن مقبرتها التى كانت فى الجرف، وبدأت تبحث عن المكان اللائق فى أفضل الأماكن ذات الطابع الملكى، وهو وادى الملوك. أصبح «حبو سنب»، رئيس كهنة «آمون»، مسئولاً عن بناء المقبرة. أما «سنن موت»، الذى عينته مشرفًا على كل الأعمال الملكية، فصار الآن مسئولاً عن أعمال البناء فى الدير البحرى.

مقبرة حتشبسوت

قررت «حتشبسوت» أن أفضل مكان لكى تُدفن فيه هو فى مقبرة والدها الملك «تحتمس الأول» نفسها وكانت مقبرة «تحتمس الأول» قد اكتملت منذ بضع سنوات. أعادت «حتشبسوت» فتح المقبرة وباشرت العمل فى إجراء تعديلات توسُّعية.

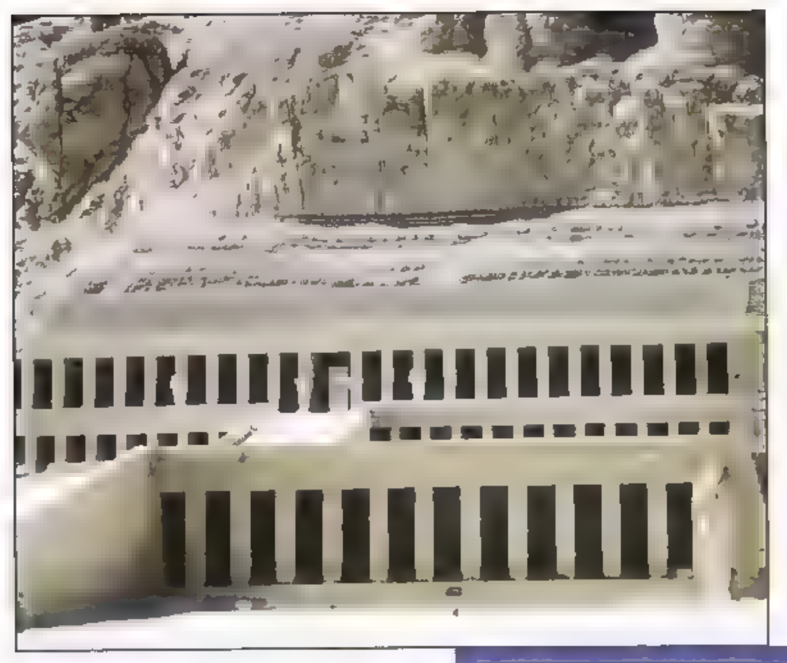
كانت المقبرة تتكون -فى الأصل- من دهليز طويل واحد يؤدى إلى حجرة كبيرة للدفن، وهناك كان يُوجد سلم يؤدى إلى قاعة جديدة للدفن محفورة فى الصخر. وهذه القاعة تحتوى على ثلاثة أعمدة مصفوفة، وثلاث غرف للتخزين منحرفة فى زاوية بعيدة. ولم تكن الصخور فى منحدر التل صخورًا بمعنى الكلمة، بل بالأحرى، هى صخور طينية قابلة للتفتت، ولذلك فبدلاً من رسم الزخارف والنقوش مباشرة على الجدران، كانوا يحضرون قطعًا

ضخمة من الحجر الجيرى وينزلونها لكى توضع على جوانب الغرفة.

كذلك احتوت غرفة الدفن على تابوتين كبيرين من الكوارتزيت الأصفر، أحدهما لجثمان «حتشبسوت» والآخر لوالدها، «تحتمس الأول». وبعد الانتهاء من التعديلات، تم نقل جثمان «تحتمس» إلى المستوى الأسفل، ووضِع فى تابوته الصخرى الجديد الكبير، وخططت «حتشبسوت» أن تُدفَن إلى جواره. غير أن هذه ليست نهاية القصة، فبعد عدة سنوات من موت «حتشبسوت»، قام «تحتمس الثالث» بإعادة فتح المقبرة وأخرج منها جثمان جده، ووضعه بدلاً من ذلك فى مقبرة مبنية خصيصًا له فى مكان آخر من وادى الملوك. ولكن مكان جثمان «تحتمس الأول» غير معروف، على الرغم من أنه قد يكون إحدى الجثث التى لم يتم تحديد هويتها من مجموعة المومياوات الملكية، التى عُثِر عليها بالقرب من الدير البحرى.

معبد حتشبسوت حتحور

كانت الإلهة «حتحور» إلهة هامة، وهى تُصور أحيانًا فى شكل سيدة وأحيانًا فى صورة بقرة. وأحد أدوارها الأساسية كان أنها الأم الإلهية لكل ملك حاكم. كذلك كانت مرتبطة بالمعتقدات الجنائزية، خاصة



معبد «حتشبسوت» بالدير البحرى.

فى طيبة، حيث كانت تُعرَف أيضًا بأنها إلهة الغرب. ومنذ زمن الدولة الوسطى على الأقل، كان موقع الدير البحرى مرتبطًا بالإلهة «حتحور»، ومن المحتمل أن الارتباط بمثل هذه الإلهة القوية كان له تأثير على «حتشبسوت» لاختيار هذا المكان موقعًا لمعبدها الجنائزى. وسوف يصبح هذا المكان المركز الدينى لروحها الإلهية أى الـ«كا» بعد وفاتها. وسوف يصبح هو أيضًا المكان الذى كان الملك يتلقى فيه العبادة بوصفه إلهًا. ونظريًا، سوف يظل هذا المعبد قائمًا للأبد. وبالتالى لن تمحى ذكراها

أبدًا، فيمكنها البقاء خالدة إلى الأبد. فى المعابد العادية، كان من المعتاد بناء قُدس أقداس واحد، من أجل صورة الإله، فيقام فى أكثر أجزاء المعبد عمقًا وسرية. ولكن التخطيط فى المعبد الجنائزى، كان يختلف كل الاختلاف.

كان التخطيط الأساسى للمعابد الجنائزية فى الدولة الحديثة، يلتزم بنموذج محدد، وهذا النموذج واضح فى معبد «حتشبسوت». فبالإضافة إلى الاحتفاء بعبادة الملك المتوفى، تتمثل وظيفة رئيسية أخرى للمعبد فى المطابقة والدمج بين الملك وآلهة محددة، خاصة «أوزيريس» و«رع» و«آمون». ومنذ عصر الدولة القديمة وما بعدها، كان الملك يقارن بالإله «حورس» بينما هو على قيد الحياة، ويقارن بعد وفاته بالإله «أوزيريس». أى أن كل ملك متوفى، يتحد بشكل من الأشكال، مع «أوزيريس». وكثيرًا ما كان قدس الأقداس المخصص لـ«أوزيريس» يميل إلى أن يكون فى أماكن سرية مظلمة، ويُبنى فى الغالب عند الجانب الأيسر من المعبد. وهناك معتقد جنائزى آخر يرجع إلى الدولة القديمة، يقارن الملك الحى بإله الشمس «رع»، أو بصورة جديدة تجمع إلهين للشمس، تدعى «رع - حور أختى». وكان قدس الأقداس المخصص لهذا الإله يميل لأن يكون به مساحة تحتوى على مذبح منفتح على السماء، لهذا الإله، يضم فى المعتاد فناءً غير مسقوف به مائدة

قرابين، ويقام فى معظم الأحوال فى الجانب الأيمن من المعبد.

كان «آمون» هو أهم إله فى الدولة الحديثة، فصار أهم آلهة ملوك مصر. وكان قدس أقداس «آمون» يُوضع عادة فى منتصف الجزء الخلفى من المعبد. كما خصصت مقصورة للملك المتوفى تقع على الجانب الأيسر بقرب قدس أقداس «أوزيريس»، أو معه، وفى المؤخرة يوجد لوح باب وهمى، تقدم عنده القرابين من طعام وشراب يتم رفعها لإطعام «كا» الملك المتوفى.

ويُعرَف معبد «حتشبسوت» اليوم بوصفه واحدًا من أجمل المبانى فى مصر. ولقد أطلق على المعبد اسم «جرجرو»، الذى يعنى «أقدس الأقداس». وينطوى هذا الاسم على دلالة مفادها أنه أروع الروائع. على أن هذا المعبد، كان الأفضل على الإطلاق. واستغرق بناؤه خمسة عشر عامًا. وربما كان مهندسه هو «سنن موت»، إذ كان أحد ألقابه مراقب أعمال قدس الأقداس. وبالتأكيد أسهم آخرون فى هذا المشروع، بمن فيهم المشرف على خزانة «حتشبسوت» واسمه «جحوتى»، الذى زعم قائلاً: «لقد كنت أقود الصناع، والحرفيين، وهم يعملون فى أعمال جرجرو».

لقد بُنِيَ المعبد بجانب معبد آخر سابق من الدولة الوسطى، بناه «نب حبت رع منتوحتب»، ويمكن القول إنه اقتبس إلى حد ما

التصميم نفسه. فكلا المعبدين تمّ تصميمهما ليمتزجا بالمشهد البيئى المحيط، فيبدوان كأنهما يطلان من داخل تجويف الهضبة. وتمّ تصميم المعبد الجنائزى على مراحل متعددة، ويتكون من ثلاثة أروقة واسعة يفصل بينها صفوف من الأعمدة، ويربط بينها منحدرات صاعدة. أول بناء فى مُجَمَّع المعبد (وهو مفقود الآن) كان معبدًا صغيرًا بناه مهندس يُدّعَى «بويم رع» وكان موقعه على ضفة قناة تؤدى إلى الصحراء. وطريق عرضه 37 مترًا وتصطف على جانبيه تماثيل لأبى الهول لكل منها جسم أسد، ورأس «حتشبسوت». يؤدى هذا الطريق من المعبد مرورًا بالوادى إلى بوابة هائلة (هى أيضًا ليس لها أثر).

تؤدى هذه البوابة إلى الساحة الأولى غير المسقوفة فى المعبد، التى وصفتها «حتشبسوت» بأنها «حديقة لأبى آمون». وهناك نجد عدة حفر ضحلة ودائرية الشكل تظهر أن هذه الحديقة كانت فى وقت ما، مملوءة بالأشجار الجميلة والشجيرات المستوردة من بلاد بونت. وكان هناك دهليز له سقف عريض، خلف هذه الساحة، به أحد عشر عمودًا من الحجر تقف كدعامات يستند عليها السقف، على جانبى منحدر هائل فى الوسط. وهناك تمثالان ضخمان لـ«حتشبسوت»، فى صورة «أوزيريس» وقد دُثرت فى ثوب ملتصق محبوك، وذراعاها ظاهران وهما متقابلان على صدرها. ويقود هذا المنحدر فى أعلاه إلى



لوحة حصية تظهر العمال المصريين وهم يسوون حدارًا.

الساحة الثانية، وهى ساحة واسعة غير مسقوفة، بها رواق مسقوف به أعمدة، ومنحدر طويل كبير يقود إلى المنطقة الخلفية. وهناك مقصورة مكرسة للإلهة «حتحور» وتقع عن الطرف الجنوبى، ومقصورة مكرسة للإله «أنوبيس»، إله التحنيط برأس ابن آوى، تقع فى الجانب الشمالى.

يؤدى المنحدر المركزى إلى السطح الثالث أو الأعلى. وهنا كان يوجد رواق ذو أعمدة وله سقف، وكان به فى الأصل صف من التماثيل الواقفة لـ«حتشبسوت»، أمام كل عمود من الأعمدة.

ويؤدى مدخل كبير مصنوع من الجرانيت الوردى فى المنتصف إلى ساحة تُحيط بها الأعمدة من جوانبها الأربعة. وعند الجانب الجنوبى من هذه الساحة، رواق يُؤدِّى إلى مقصورة مكرسة للإله «أوزيريس»، والعبادة الملكية من أجل «حتشبسوت» ولوالدها الملك «تحتمس». كما توجد مقصورة فى الطرف الشمالى لها ساحة صغيرة غير مسقوفة ومائدة قرابين لإله الشمس «رع - حور أختى». وفى مؤخرة المعبد، يوجد القسم المنحوت فى الصخر، وبه قدس أقداس «آمون». يُعَدّ هذا المعبد مصدرًا عظيمًا للمعلومات عن حياة «حتشبسوت» وحكمها، فكل جدران المعبد كانت مغطاة تقريبًا بالرسوم التى تصور أحداثًا هامة من فترة حكمها. كما توجد مشاهد دينية عديدة لـ«حتشبسوت» مع مختلف الآلهة.

للأسف، تعرض المعبد للكثير من التخريب والدمار عبر التاريخ. فقرب نهاية حكم الملك «تحتمس الثالث»، تمّ محو اسم «حتشبسوت» ومعظم صورها وتماثيلها محوًا دقيقًا. كما أن معظم صور الآلهة، وخاصة الإله «آمون» تمّ محوها هى أيضًا أثناء حكم الفرعون «إخناتون». وعلى الرغم من أن صور هذه الآلهة، أُعيد نحتها بعد وفاته، فإن صور «حتشبسوت» لم يُعَادْ نقشها ثانية. ونتج عن ذلك أنه عندما تم اكتشاف الموقع الجنائزى لأول مرة على يد عالم الآثار إدوار فيل



البناؤون يصنعون الطوب اللبن
والصورة من مقبرة حاكم طيبة

سنة 1891م، بدا أنها تكاد تكون مجرد خرائب. غير أن فريقًا من علماء الآثار البولنديين ظلوا يعملون منذ سنة 1961م لترميم المعبد، وسوف يتم قريبًا الانتهاء من ترميمه وفتحه كليًّا أمام جمهور الزوار.

المسلات

حتى قبل أن تتولى «حتشبسوت» الحكم، أمرت بإقامة مسلتين من جرانيت محاجر أسوان . وخلال الدولة الحديثة، صارت المسلات موضعًا للعبادات الشعبية. إذ كانت المسلات تقام عادة مثنى مثنى أمام صروح المعابد. وكانت هدية من الملك لإله الشمس، وتحمل جوانبها الطويلة أعمدة من الكتابات الهيروغليفية تشرح ظروف بناء المسلة، والاحتفالات

الخاصة بذلك، والصلوات التى تضمنتها هذه الاحتفالات. كما عُدت المسلات فى بعض الأحوال هدفًا للعبادة فى حد ذاتها. فقدم لها الناس الصلوات، بل كانوا يُطلقون عليها أسماء بعينها.

لقد أقام الفرعون «تحتمس الأول» ومهندسه «إنينى» مسلتين فى معبد الكرنك، وأرادت «حتشبسوت» اتباع مثال والدها. وبالفعل، فإن نقشًا على إحدى مسلتيها يعلن قائلاً: «إن والدك، ملك مصر العليا والسفلى، قد أعطى الأمر بإقامة المسلات». ومن الواضح أن «حتشبسوت» كانت فخورة بإصدارها الأمر بإقامة هذه المعالم الدينية الضخمة. ودونت قصة الرحلة إلى أسوان لإحضار الأحجار إلى الكرنك، على مقصورتها الحمراء، وعلى الجدار الخلفى للساحة الأولى من معبدها الجنائزى. إن تقطيع المسلات ونقلها وإقامتها، يعد عملاً ماهرًا يفوق كل تصور، من حيث التنظيم والبناء الهندسى وفق المعايير الهندسية لعصرنا الحاضر. وعلينا أن نتذكر أن المصريين لم تتوافر لديهم الآلات اللازمة لتساعدهم؛ لذا فإن كل مرحلة من العملية كانت تتم بالاعتماد على القوة اليدوية فقط. غير أن الذى مكّنهم من إنجاز هذه المهام، هو أنهم كانوا يتقنون تنظيم الأفراد كل الإتقان. إذ يكون هناك المئات إن لم يكن الألوف من العمال المتاحين للعمل، ويدرك الجميع أن مشاريع بهذه الكيفية قد تستغرق

وقتًا طويلاً لتنفيذها.

ولذلك فلكى يتمّ قطع مسلة من الجرانيت، كان العمال يقومون بعمل ثقوب غائرة حول الكتلة المطلوب فصلها ثم يملأون هذه الثقوب بأسافين من الخشب ثم يشبعونها بالماء حتى يتمدد الخشب مما يؤدى إلى إحداث كسر فتنفصل الكتلة من الصخرة الجرانيتية. وعندما ينفصل الحجر، يتم سحبه من المحجر إلى شاطئ النيل، وهناك يتمّ تحميله على سفينة نقل ضخمة، ويتم سحبها لتسير مع التيار المائى شمالاً إلى طيبة. ونحن نعرف أن هناك مسلتين أخريين تمت إقامتهما فيما بعد فى عهد «حتشبسوت»، واستغرق الحفر فيهما سبعة أشهر.

وكان إشراف «سنن موت» إشرافًا كاملاً على مشروع المسلات. ونحن نعرف أنه ذهب إلى أسوان ليتأكد أن كل شىء يسير على ما يرام. وبينما كان هناك، قام بكتابة نقش فى المحجر يُشير إلى أنه ذهب إلى هناك «من أجل الإشراف على العمل فى مسلتى «حح» العظيمتين. وقد تمّ تنفيذ كل ما أمرت به على أفضل وجه، وحدث ذلك بفضل قوة جلالتها».

أول ما تقع عليه عيوننا من معبد «حتشبسوت» الجنائزى، سفينة نيلية ضخمة، ونشاهد المسلتين مربوطتين على متنها. ويَسحب هذه السفينة سبعة وعشرون مركبًا، كل منها بها ثلاثون شخصًا يقومون

بالتجديف. وهناك ثلاثة مراكب صغيرة تسير فى موازاة السفينة الكبيرة، تحمل كهنة يؤدون الطقوس الدينية. والنقش المصاحب للصورة يوضح أن الجميع كانوا «يبحرون مع التيار بقلب مسرور».

أما المشهد الثانى فيصور وصول السفينة إلى طيبة. ويقف على إحدى ضفتى النهر، عدد ضخم من الجنود ينتظرون لإنزال المسلات. والنقش أعلى المنظر يشرح أن هؤلاء الرجال حضروا من كل أنحاء مصر للمساعدة فى هذه المهمة. وعلى الضفة الأخرى للنهر تقف مجموعة من الكهنة للاحتفال بهذا الوصول وبإقامة صلوات الشكر. وهناك مشاهد أخرى تظهر الاحتفال فى المدينة، ويبدو أن هذا اليوم كان إجازة عامة ليتمكن أهل المدينة من الحضور لمشاهدة هذا الحدث الرائع. «إن المرافقين وأصحاب المقام الرفيع وموظفى الدولة والجنود من كل أنحاء الأرض يقولون: إن قلبك سعيد لأن هذا اليوم أتى لنحتفل به». ومازالت إحدى المسلتين باقية فى مكانها.

المظاهر

بعد أن صارت «حتشبسوت» شريكةً فى الحكم فى سنة 1473ق.م، كان عليها أن تقرر بسرعة كيف ستقدم نفسها لشعب مصر. علينا أن نتذكر أنه بالنسبة للغالبية العظمى من سكان مصر، فى ذلك الوقت، لم يكن يعنيهم كثيرًا من يكون الفرعون. فطالما أن البلاد تعيش فى سلام، ونهر النيل يفيض كل سنة، والشمس تسطع، فتجعل محاصيلهم تنمو، فسوف يعيش الجميع فى مصر، ويقضون حياتهم كلها تقريبًا دون أى معرفة شخصية بمن يكون الفرعون الذى يحكمهم.

لم تكن هناك وسائل إعلام جماهيرية؛ لا تليفزيون ولا إذاعة ولا صحف؛ وكان القدر القليل للغاية من المعلومات عما يحدث فى البلاط الملكى، هو ما يمكن أن يصل إلى الشعب العادى، أو يكون له تأثير على مجرى حياتهم. علينا أن نتذكر أن معظم الناس كانوا يجهلون القراءة. وفى

مثل هذا المجتمع، وبمثل هذا المستوى المنخفض من التعليم، فإن أفضل السبل لتوصيل المعلومات كان من خلال الصور.

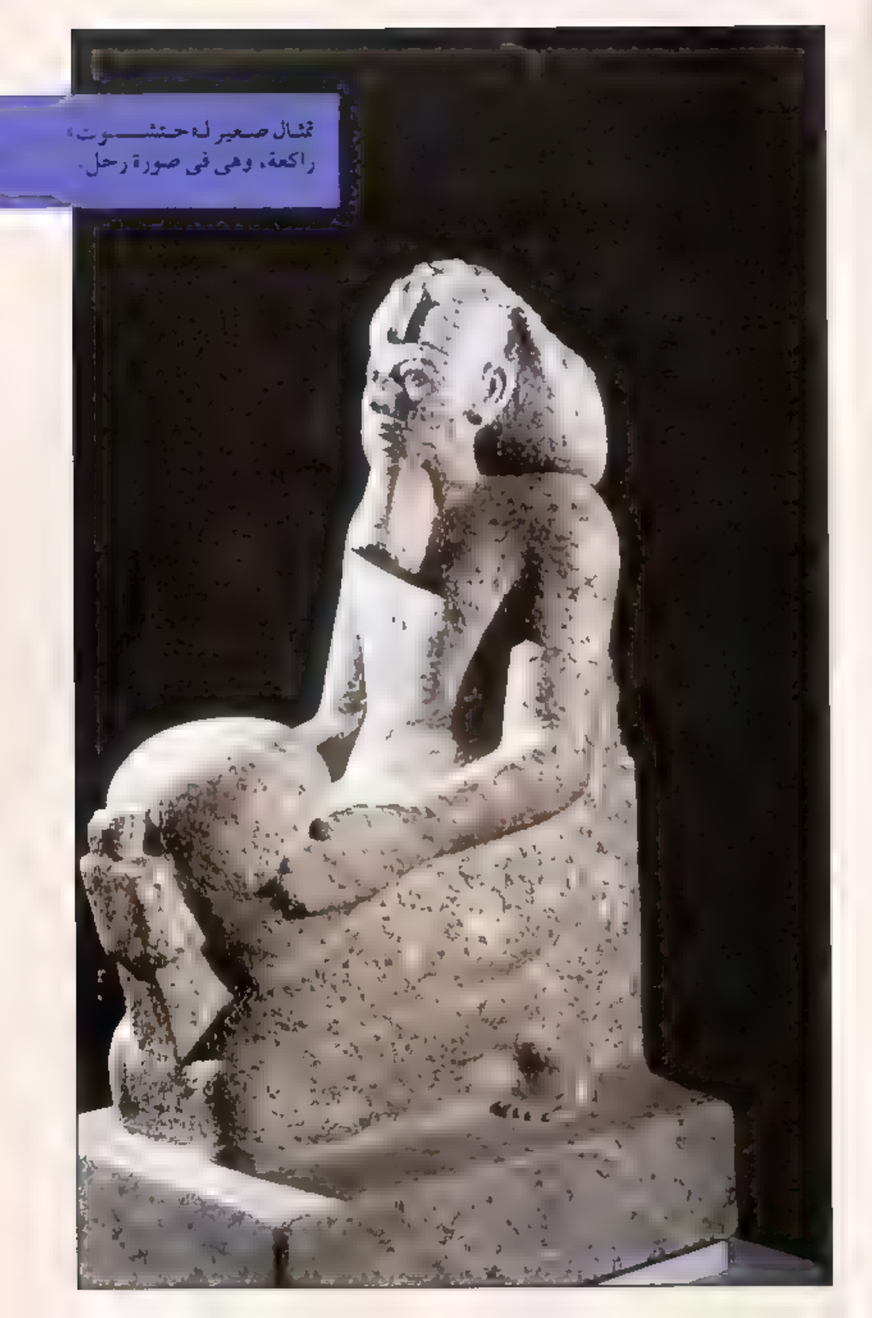
كانت مصر مجتمعًا دينيًّا، ومعظم الناس كانت عندهم موائد قرابين، أو مقصورات صغيرة فى بيوتهم مكرسة للآلهة. كما كانوا يذهبون إلى المعابد المحلية فى القرى والمدن لأداء العبادات الدينية، وأحيانًا، فى مناسبات خاصة، أو أثناء الأعياد الدينية. كانت كل المعابد الكبرى فى جميع أنحاء البلاد تفتح أبوابها للزوار.

غير أنه لم يكن مسموحًا للشعب أن يتجرأ على الدخول لمسافات كبيرة داخل هذه المعابد، فيقفون بالطبع خارج بوابات الصروح الأمامية وكانت مغطاة بالصور. وقد عرفنا أيضًا أنه كان من المسموح للناس فى الكرنك أن يدخلوا لمسافة صغيرة داخل المعبد؛ لأن إحدى الساحات الخارجية كانت تُسمَّى ساحة الجماهير. وهناك أيضًا أمثلة لعلامة على شكل طائر تسمى «رخيت» منقوشة على جدران المعبد، وهذه العلامة تمثل شعب مصر، وتُشير إلى المكان الذى كان مسموحًا للشعب أن يقف فيه. وبناء على ذلك، كانت للفراعنة إبان الدولة الحديثة، صور وتماثيل موضوعة فى المعابد فى كل أنحاء البلاد.

تماثيل الفرعون

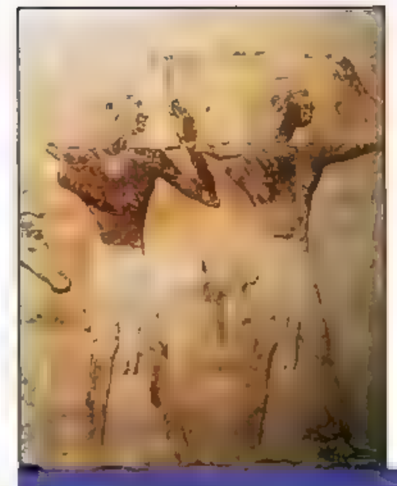
فى أثناء الفترة التى كانت فيها «حتشبسوت» زوجة لـ«تحتمس الثانى» ووصية على العرش لـ«تحتمس الثالث»، كانت تظهر دائمًا فى صور مثل الأميرة أو الزوجة المصرية التقليدية، ولكن الموقف تغير بعد ذلك. حيث إن التماثيل التى أمرت بنحتها فى بداية حكمها، مازالت تظهرها بوجه وجسد أنثويين، وإن ارتدت الملابس التقليدية لملك ذكر، والمكونة من التنورة القصيرة، والقلادة العريضة، والتاج، وغطاء للرأس اسمه «نيمس»، ولحية مستعارة. كان غطاء الرأس «نيمس» عبارة عن قطعة من القماش المخطط مشدودة بإحكام حول الجبهة، وتربط من وراء الرقبة على جانبى الوجه من خلف الأذنين. كانت اللحية المستعارة رمزًا آخر يوحى بالطبيعة الإلهية للملك وكثيرًا ما تُصَور بلون أزرق (مثل اللازورد)، وتُربَط على ذقن الملك بشريط رفيع.

و على الرغم من أن هذه التماثيل لم تكن تصويرًا واقعيًا بالمعنى الذى نفكر فيه اليوم، فإنها كانت تقدم حقًا بعض السمات التى تجعلنا نتصور ما كان عليه شكل «حتشبسوت». كان لها وجه بيضاوى الشكل وعينان لوزيتان، وأنف كبير، وذقن صغير. كذلك تُظهر تماثيلها أحيانًا حواجبها عالية مقوسة. كما نعرف أنها كانت



تمثال صغير لـ«حتشبسوت»
راكعة، وهى فى صورة رجل.

متفاخرة للغاية. وتحكى إحدى القصص المنقوشة على جدران معبدها فى الدير البحرى بالتفصيل تصويرًا للأحداث التى صاحبت الحمل بها وولادتها، وفى هذه القصة يُصَور الإله «آمون» باعتباره والدها. كذلك فإن النص يتضمن وصفًا لفترة نموها: «جلالتها نمت فوق كل

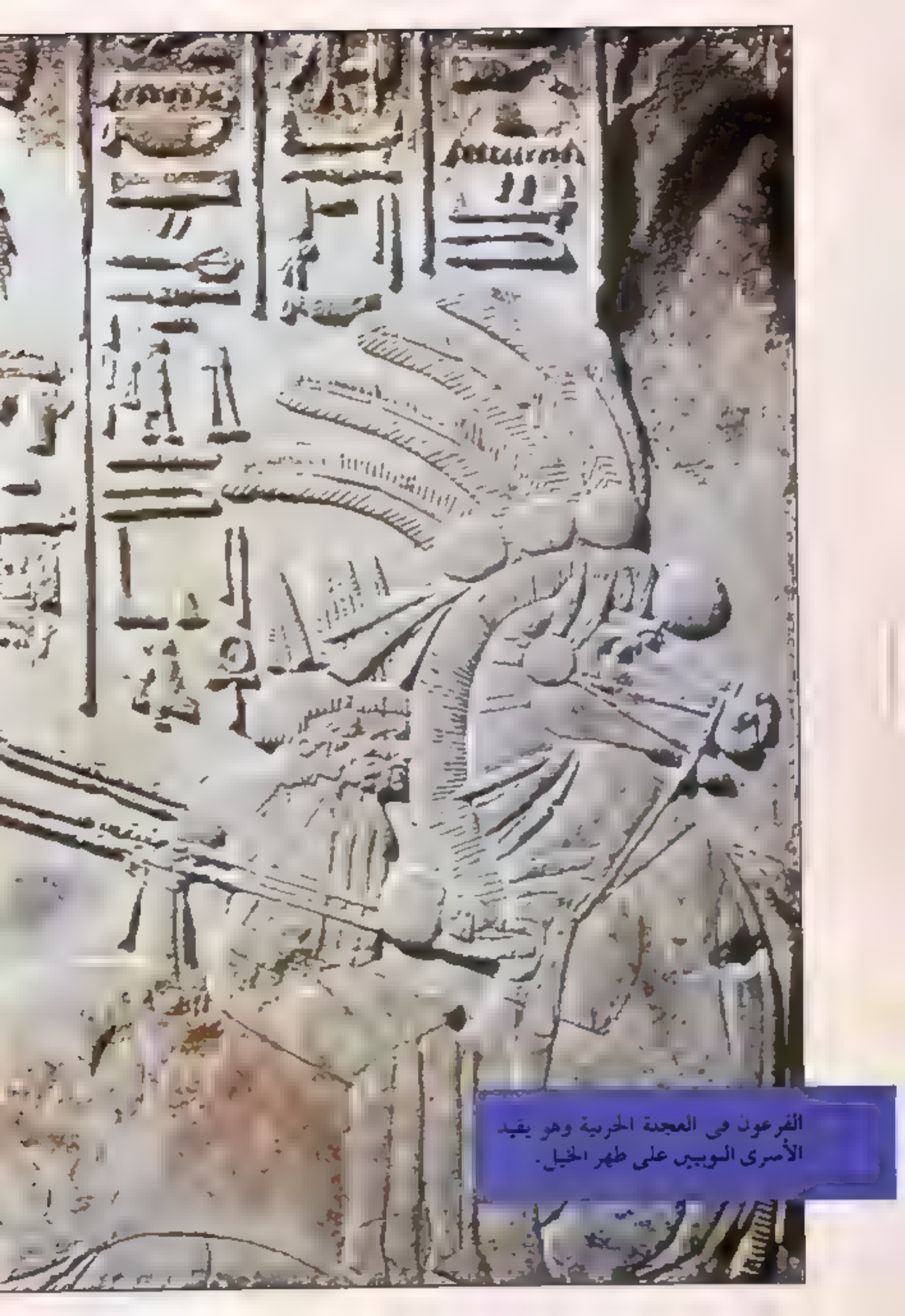

خدام يحملون هدايا لمبادلتها أثناء البعثة التجارية إلى بلاد بونت.

شىء؛ وكان النظر إليها أجمل من كل شىء... وكانت تبدو كأنها إله... لقد كانت جلالتها عذراء وجميلة وناضرة».

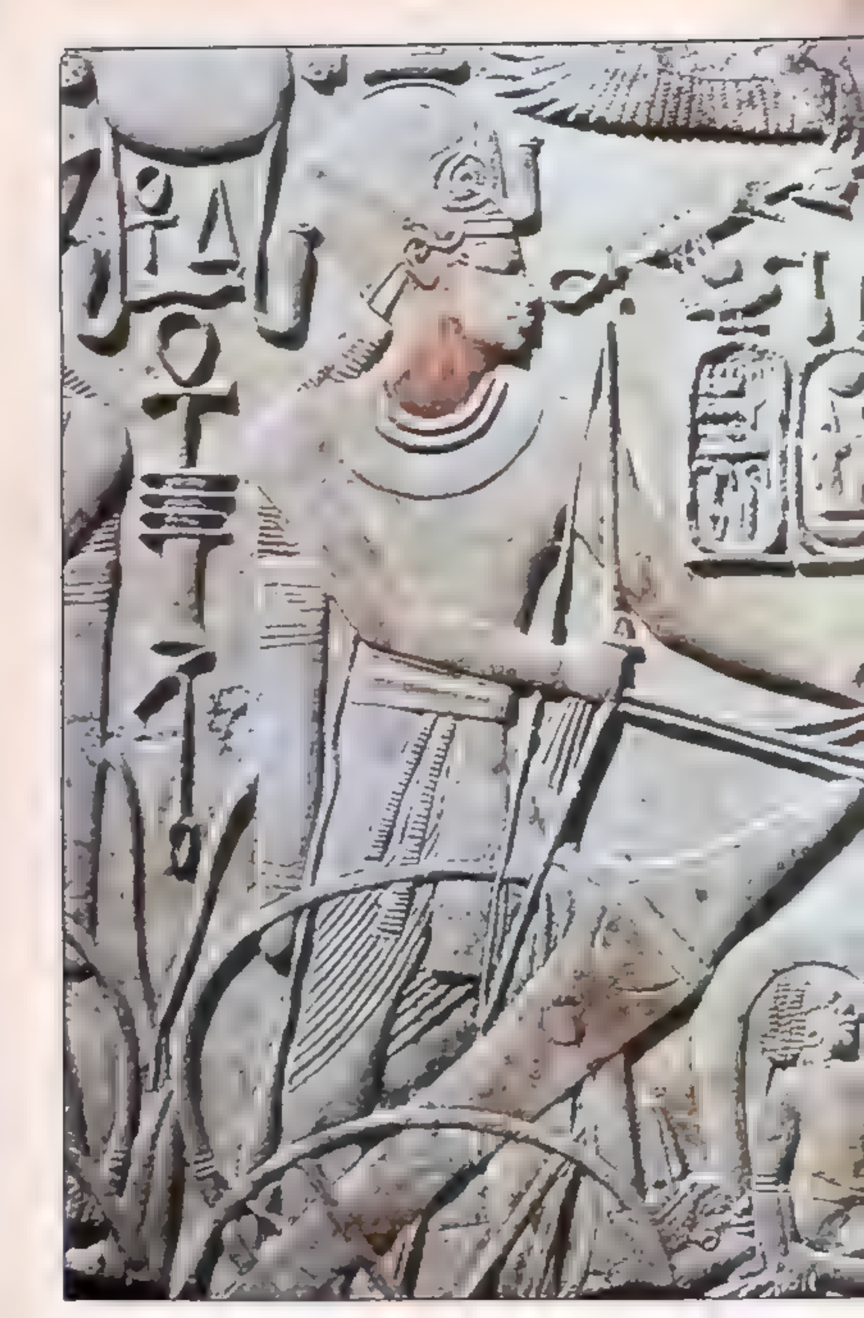
بعد فترة قصيرة من عامها السابع كوصية على العرش، تم التخلص من هذا الأسلوب فى التصوير. ومن وقتها، اختارت «حتشبسوت» أن يتم تصويرها كرجل، سواء فى التماثيل، أو فى الرسوم على جدران المعبد. ويرجع ذلك، على الأرجح، إلى الاعتقاد بأنه من المربك وغير المريح، بل المعادى لتقاليد الشعب، أن يفكروا بأن فرعونهم كان بالفعل امرأة. كان من الأسهل أن يتم تصويرها فى

هيئة رجل. غير أنه ليس لدينا أى دليل يقول إن هناك أى شخص ممن يعرفونها عن قرب، قد انخدع بسبب هذا المظهر الكاذب. وبالفعل، فالعديد من النقوش التى صاحبت الصور الذكورية لـ«حتشبسوت» مازالت تُشير إليها كامرأة، أو تستخدم نهايات مؤنثة للكلمات التى تصفها. ومن الأمثلة الشائقة لهذا الارتباك، تمثالان متطابقان لأبى الهول، كانا فى الأصل موجودين فى الطريق المؤدى إلى معبد الدير البحرى. التمثال الأول، وهو الآن فى المتحف المصرى، منقوش عليه: «ماعت كا رع، محبوب آمون، لتكن له حياة للأبد». والثانى، وهو الآن فى متحف المتروبوليتان بنيويورك، وهو منقوش عليه: «ماعت كا رع، محبوبة آمون، لتكن لها حياة للأبد».

كان «أبو الهول» مخلوقًا خرافيًّا، عادة ما يتشكل من جسد أسد ورأس إنسان. ومنذ الدولة القديمة وما بعدها، استخدمت تماثيل الفرعون فى صورة «أبى الهول»، لتمثل قدرات الفرعون الملكية والسلطوية. كما أنها تُشير إلى الطبيعة القتالية للملك.



الفرعون فى العجلة الحربية وهو يقود الأسرى النوبيين على ظهر الخيل.



الحروب

ليس لدينا سوى سجلات أو نقوش قليلة للغاية عن أية حروب خلال حكم «حتشبسوت». وترتب على ذلك أن ذهب بعض الباحثين إلى أن «حتشبسوت» لم تقم بأى مجهود لحماية مصر، أو للحفاظ على نفوذها الإمبراطورى فى النوبة وسوريا، على عكس معظم فراعنة الدولة الحديثة الأخرين. غير أن هناك بعض الدلائل من معبدها الجنائزى، تشير إلى أن «حتشبسوت» قد اشتركت فى حملات عسكرية فى هاتين المنطقتين. فيُظهِر أحد المشاهد الإله النوبى «ددوين» يقود مجموعة من الأسرى نحو الفرعون. ومشهد آخر، وهو نقش تم تخريبه على نحو سيئ، يقول بأنه «كما فعل أبوها، ملك مصر العليا والسفلى «عا خبر كا رع»، الذى امتلك كل الأراضى ... وقعت مذبحة فيما بينهم، والعدد غير معروف، كما تم قطع أيديهم». وهناك أيضًا بعض الدلائل التى تُشير إلى أن «حتشبسوت» قادت حملة عسكرية فى كنعان أو سوريا، استنادًا إلى نقش يقول: «إن سهمها موجه نحو سكان الشمال».

على الرغم من قلة الأدلة على أنشطتها الحربية، فإن حقيقة عدم محاولة أى من المناطق الأجنبية الواقعة تحت سيطرة مصر، أن تتمرد خلال حكمها، تجعلنا نفترض أنها فعلت ما يكفى للدفاع عن



لــوح مــن الحجــر الجيرى
يظهر صناعة الأسلحة.



إمبراطوريتها، وقد نجحت فى ذلك. وهناك دليل آخر على اهتمام «حتشبسوت» بالجيش، وهو أنها أرسلت «تحتمس الثالث» إلى أكاديمية حربية ليتدرب على فنون القتال حتى يصير جنديًا.

تحسينات المعبد

فى وقت ما، بعد عامها التاسع كوصيّة على العرش (1471ق.م)، قررت «حتشبسوت» أنها ستسير على نهج التقاليد التى وضعها أسلافها، فبدأت تنفيذ برنامج طموح للبناء والتشييد فى مصر والنوبة. من بين الدوافع التى حركتها لاتخاذ هذا القرار، رغبتها فى أن تُظهِر للجميع فى مصر أن البلد فى أيدٍ أمينة، وأن كل شىء بقى على ما كان عليه. فعلى واجهة أحد معابدها، نقرأ هذا النقش المتفاخر: «إن موائد القرابين مفتوحة، والمعابد توسعت... رغبات كل الآلهة؛ كل إله صار يمتلك المسكن الذى يحبه، واستقر الـ«كا» على عرشه». وتتواصل



لـوح مـن الحجـر الجيرى
يظهر صناعة الأسلحة.

النقوش قائلة: «إن الأراضى كلها خاضعة لسلطتى، السوداء (وادى النيل) والحمراء (الصحراء) تحت إمرتى. شهرتى تجعل عظماء البلاد يركعون أمامى، بينما الأفعى الصل على جبهتى». كانت الأفعى الصل رمزًا مخصصًا للملك، يتخذ شكل أفعى ترفع رأسها ناتئة مباشرة فوق الجبهة فى التاج الملكى على غطاء رأس الملك. هذه الأفعى تمثل «واجت»، إلهة مصر السفلى.

كانت العبادة تُقَدم لإلهة على شكل أنثى الأسد تُسمّى «باخت» (ويعنى اسمها حرفيًا: هى التى تخدش) فى منطقة مصر الوسطى، منذ الدولة الوسطى وما بعدها. وقد بنت «حتشبسوت» معبدًا لهذه الإلهة فى مكان يُعرف اليوم باسم سبيوس أرتميدوس (أى كهف أرتميدوس) جنوب بنى حسن بالمنيا. إن الإلهات التى تتخذ رأس أسد مثل «باخت» أو التى تتخذ رأس قط مثل «باستت»، و«سخمت» (القوية)، و«ماتيت» (المُمَزِّقة)، و«محيت» (المتصيدة) كان الناس يعتبرونها مفترسة وخطيرة. غير أنها، كانت تعبر فى الوقت نفسه عن غرائزها الطبيعية فى رعاية الأبناء والاعتناء بهم. وقد أظهرت «حتشبسوت» من قبل، تفضيلها للألهة الإناث، باختيارها أن تضع معبدها الجنائزى فى موقع له أهمية خاصة للإلهة «حتحور»، وهذا يدفعنا للاعتقاد أنها كانت مدفوعة من جديد برغبة

فى تكريم شخصية نسائية قوية.

يتكون المعبد من جزءين، مع قاعة خارجية ذات أعمدة متصلة بمر قصير يصل بينها وبين قدس أقداس داخلى محفور فى سفح التل. وهناك سلسلة من الرسوم منقوشة على الجدار الداخلى للقاعة ذات الأعمدة، وبها صورة لـ«حتشبسوت» وهى تتضرع للإله «آمون» بينما تقف الإلهة «باخت» من ورائها وتقول: «... إن أنفاسى الملتهبة تخرج كنيران حارقة ضد أعدائك».

كما شرعت «حتشبسوت» فى تنفيذ برنامج لترميم المعابد التى تعرضت للإهمال منذ اضطرابات مرحلة الانتقال الثانية. وكان هناك معبد للإلهة «حتحور» فى القوصية، على بعد 64 كم جنوب سبيوس أرتميدوس، ويبدو أنه قد تعرض للتخريب الشديد: «معبد سيدة القوصية الذى كان قد صار إلى الخراب، قد التهمت الأرض محرابه العظيم، وأمست الأطفال ترقص على سقفه... إنى قد قدسته وأعدت بناءه، وكسوت واجهته بالذهب».

عيد الهب سد الملكى

فى العام الخامس عشر من فترة وصايتها على العرش (1265ق.م) احتفلت «حتشبسوت» بعيد الـ«هب - سد». وقد كان هذا العيد اليوبيلى لحكم الملك، يتم الاحتفال به عادة بعد قضاء الملك ثلاثين سنة فى السلطة، ثم يتكرر الاحتفال به كل ثلاث سنوات بعد ذلك. وكان الغرض منه هو تجديد قوة الملك بواسطة طقوس تُشير إلى تجدد الحياة وتجدد التتويج. ومن غير الواضح، السبب الذى جعل «حتشبسوت» تقرر الاحتفال بهذا العيد مبكرًا هكذا، غير أن هذا الاحتفال كان مناسبة وطنية يستمتع بها الجميع. وكانت الاحتفالات تُقام لمدة خمسة أيام، والأعياد الدينية تنتشر فى كل المعابد الرئيسية فى جميع أنحاء البلاد، وتبلغ ذروتها فى موكب عظيم يضم كل الآلهة.

نظريًا، كان «تحتمس الثالث» يحتفل هو أيضًا، باعتباره فرعونًا شريكًا فى الحكم، ولكن لا توجد سوى دلائل قليلة للغاية على اشتراكه فى الاحتفالات، مثل بعض الرسوم القليلة التى وُجِدَت على جدران «جرجرو»، أى معبد الدير البحرى، وفى هذه الصور يظهر الملكان وهما يقدمان معًا القرابين للآلهة.

أمرت «حتشبسوت» بنحت مسلتين أخريين؛ من أجل معبد الكرنك للإشارة لهذه الاحتفالات. وكان «سنن موت» هو المسئول من جديد عن هذا المشروع. وقد اختار محجرًا للصخور الجرانيتية بالقرب من أسوان يديره رجل يدعى «أمنحتب»، وقد وصف نفسه فيما بعد بأنه «أمنحتب، محل الثقة الحقيقية للملك، ومحبوبه، والمسئول عن العمل فى نحت المسلتين العظيمتين، ورئيس كهنة «خنوم»، و«ساتى»، و«أنوكيس». وبدلاً من وضع المسلتين أمام الصرح، اختارت «حتشبسوت» أن تضعهما فى وسط القاعة ذات الأعمدة التى بناها والدها «تحتمس الأول». وللأسف، كان ذلك يعنى ضرورة هدم الجدار الجنوبى، وإزالة العديد من الأعمدة، وكذلك إزالة السقف حتى يكون المكان ملائمًا لإدخال المسلتين.

كانت المسلتان بهما أعمدة فردية من النقوش، تسير من أعلى إلى أسفل على جميع جوانبها الأربعة، كما أضيفت نقوش أخرى حول قاعدتيهما. وقد سجلت النقوش العمودية قائمة بكل ألقاب «حتشبسوت»، ثم أكدت أن كل الآلهة مسرورةٌ منها. أما النقوش التى تُحيط بقاعدتى المسلتين، فقد تضمنت معلومات أكثر، فتسرد فيها «حتشبسوت» كيف شيدت هذين المَعْلَمَين الشامخين، ولماذا:

«لقد عملتهما من أجله بأمانة قلب، عمل مقدم من ملك لكل إله».
ومن الواضح أنها كانت فخورة للغاية بإنجازها، وهناك نقش آخر يقول:
«هاتان المسلتان العظيمتان، اللتان أقامتهما جلالتى بالإلكتروم
(مزيج طبيعى من الذهب والفضة) من أجل «أبى آمون»، لكى يبقى
اسمى، راسخًا فى هذا المعبد لأبد الآبدين، إنهما من كتلة واحدة
من الجرانيت دون شق أو وصل».

كذلك فقد أنجزت «حتشبسوت» إضافات أخرى لمعبد الكرنك.
فنصبت مقصورتها الحمراء فى مؤخرة المعبد، وأحاطت بها مجموعة
صغيرة من المقصورات الأخرى حُفرت عليها نقوش لـ«حتشبسوت»
وهى ترفع القرابين للعديد من الآلهة. كما أنها قامت بتحسين طريق
موكب الاحتفال بين معبد «آمون»، ومعبد زوجته الإلهة «مُوت»،
وأضافت محطات متعددة للقارب على طول الطريق. أما الإضافة
الكبرى الأخرى لها، فكانت تشييد صرح جديد، يعرفُ الآن
بالصرح الثامن (يضم معبد الكرنك فى الوقت الراهن عشرة
صروح). وهو مزخرف بمشاهد لأبيها، وحواراتها مع الآلهة «آمون»
و«مُوت» و«خُنسو». كما تصور «تحتمس الأول» وهو يتضرع من أجل

نجاح حكمها. فيقول: «إننى آتى إليك، يا سيد الألهة، وأتضرع أمامك، وفى مقابل ذلك أنت وضعت الأرض السوداء والحمراء تحت حكم ابنتى، ملكة مصر العليا والسفلى، ماعت كا رع». وتعيد هذه النقوش التأكيد على فكرة أن «حتشبسوت» هى الحاكم الشرعى، وأن أباها والآلهة يعترفون بحقها فى أن تكون فرعونًا.

التجارة والاستكشافات

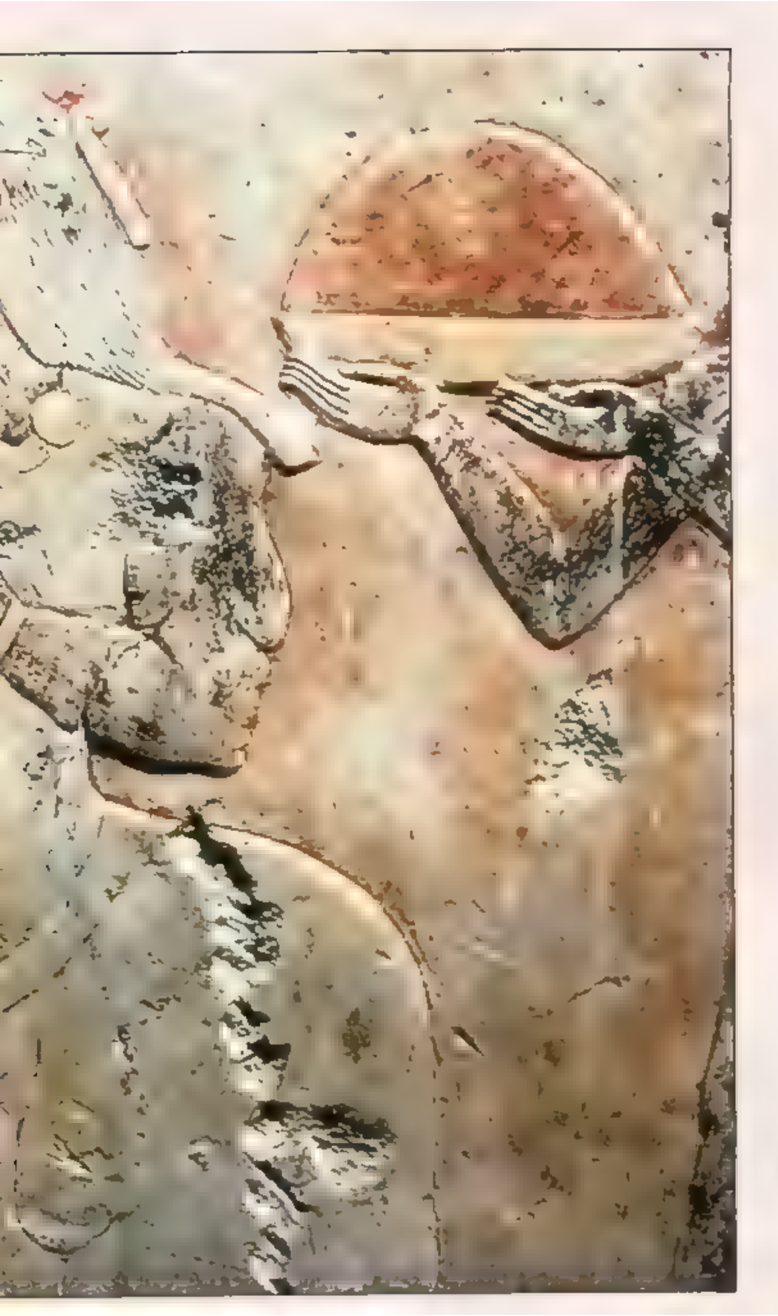
نحن نعلم أن «حتشبسوت» كانت شديدة الاهتمام بالمغامرات الاستكشافية والتجارية مع البلاد الأخرى. وهناك دلائل تثبت أنها أرسلت بعثاتٍ استكشافيةً إلى لبنان من أجل شراء أخشاب الأَرز، وإلى سيناء للحصول على الفيروز من الجبال. وكانت منطقة سيناء مصدرًا للنحاس والفيروز منذ حقبة ما قبل الأسرات. وكان الذهاب إلى سيناء يتضمن القيام برحلة برية طويلة، فيتم عبور الصحراء الشرقية من وادى النيل وحتى ساحل البحر الأحمر، ثم الإبحار بسفينة للوصول إلى الساحل الغربى لسيناء.

وفى السنة السادسة عشرة من حكم «حتشبسوت»، أمرت بوضع نقش فى موقع يُسَمَّى وادى المغارة، على بعد 225 كم عرب القاهرة، وفى هذا النقش، تظهر «حتشبسوت» وهى تتعبد للإله «سوبيد»، بينما يتعبد «تحتمس

الثالث» لـ«حتحور»، وكانت «حتحور» الإلهة الراعية لصناعة الفيروز.

وفى السنة الثامنة من وصايتها على العرش، أمرت «حتشبسوت» بإرسال بعثة استكشافية إلى بلاد بونت فى شرق إفريقيا، وكانت تهدف لإبراز أحد الجوانب الأكثر تميزًا فى حكمها. كانت «حتشبسوت» شديدة الفخر بهده البعثة، حتى أنها عملت على تصويرها ووصفها بأدق التفاصيل، على جدران الشرفة الوسطى من معبدها الجنائزى فى الدير البحرى.

ومنذ الدولة القديمة وما تلاها، أرسل المصريون حملات تجارية إلى بلاد بونت. وهناك جدال مازال يدور حتى اليوم بشأن موقع هذه البلاد وهويتها بالتحديد. إن الأبحاث التى أجريت على الحيوانات والنباتات التى يبدو أنها قد جاءت من هذه المنطقة، تُشير إلى أنها ربما تكون فيما هو الآن إما جنوبى السودان، أو إريتريا. وكانت بلاد بونت مصدرًا للكثير من المنتجات الأجنبية، ومن بينها الذهب والأبنوس الإفريقى، والعاج، والبخور. كما كانت فى تلك المنطقة حيوانات غريبة، مثل القرود والنسانيس، كما يوجد دليل على أن المصريين كانوا يشترون من هناك العبيد، ومن بينهم الأقزام. وغالبًا ما كان الأقزام يشتغلون بالرقص، أو الألعاب البهلوانية فى المعابد.





حفر ملون على الحجر الجيرى للملك «برهيو» وزوجته الملكة «إتى» وهما يلقيان التحية على القافلة التجارية المصرية، والصورة من المعبد الجنائزى لـ«حتشبسوت».

كانت الحملات المصرية تصل فى المعتاد إلى بلاد بونت عن طريق الإبحار شمالاً من طيبة إلى مدينة قفط، ثم السفر البرى من وادى النيل إلى الموانىء على ساحل البحر الأحمر، ومن هناك يتم الإبحار جنوبًا على طول الساحل.

ويوجد فى معبد «جرجرو» تصوير يوضح وقائع الحملة حتى أدق تفاصيلها. وتظهر المشاهد بأسلوب أشبه بالقصة، فقد خصص لكل مرحلة من المراحل مشهد منفصل. والصور زاهية الألوان، ومفعمة بالحيوية، كما أن دقة التصوير، خاصة فيما يتعلق بالمناظر الإفريقية، تجعلنا نعتقد أن الفنانين الذين رسموها على جدران المعبد ربما ذهبوا مع الحملة وشاهدوا الموقع بأنفسهم. وتروى «حتشبسوت» أنها لم تأمر بإرسال هده البعثة التجارية، وإنما أرسلها الإله «آمون». وفوق الصورة الأولى، التى تظهر السفن فى وصع الإبحار جنوبًا، تذكر النقوش أن: «الإبحار فى البحر... السفر فى سلام إلى بلاد بونت... بحسب أمر سيد الآلهة، «آمون» رب طيبة... لكى نحضر من أجله عجائب كل بلد من البلدان».

وتظهر الصورة التالية البعثة، وهى ترسو عند بلاد بونت. وعلى يمين المنظر نرى «نحسى» وزير «حتشبسوت» على رأس مجموعة من الجنود. وهناك كومة من البضائع أمامه، من بينها أساور وقلادات



الصواغ يصهرون الذهب من أجل استخدامه لأغراض زخرفية

وخناجر. وعلى يسار المشهد، يظهر شيخ قبيلة بونت «برهيو» على رأس مجموعة صغيرة تتضمن زوجته «إتى»، واثنين من أبنائه، وإحدى بناته، وثلاثة من الخدم الذكور، يقودون حمارًا. ويتميز «برهيو» بأنه طويل، ونحيف، وله بشرة حمراء، ولحية مدببة. أما زوجته «إتى»، فهى بدينة على نحو غريب. وتظهر أيضا قريتهم عند حافة غابة الأبنوس والنخيل وأشجار البخور. وبيوتهم الصغيرة المستديرة تستقر على ركائز، وأسقفها مدببة، وتوجد سلالم تصل إلى أعلى عند أبوابها الأمامية.

يظهر المشهد التالى المصريين وهم يُعدّون المكان الذى سيخيمون فيه. و«نحسى» يقف أمام خيمته، ليفحص المحصول الذى أحضره

شيخ القبيلة، ومعه شعبه من القرويين. ويبدو أن «نحسى» قد تناول لتوه الغداء مع «برهيو»؛ إذ تقول النقوش التى فوق الصورة: «وهناك قدموا لهم خبزًا ولحمًا، وفواكه وكل شىء موجود فى مصر.» ونحن لا نعلم كم من الوقت قضاه المصريون فى بلاد بونت، وكذلك لا نعرف ما إذا كانوا قد توغلوا أكثر للاستكشاف فى البلاد مع أصدقائهم الجدد. ولكننا نرى فى المشهد التالى أن المصريين وأهل بونت يعملون معًا فى تحميل السفن بالبضائع من أجل رحلة العودة للمصريين. وتصف النقوش الموجودة فوق السفن طبيعة الحمولة: «كل الأخشاب العطرة الطيبة التى فى أرض الإله، أكوام من راتينج المر، مع المزيد من أشجار المر النضرة، مع أبنوس وعاج نقى، وذهب إميوس الأخضر، مع خشب القرفة، وخشب خست، مع بخور إحموت، وبخور سونتير، ومستحضرات تجميل للعين، وقرود وكلاب، وكذلك جلود النمر الجنوبى، مع السكان المحليين وأطفالهم. ولم يتمكن أحد فى مصر من جلب شىء كهذا، ولا أى ملك منذ البدايات الأولى».

أما رحلة العودة، فلم يتم عرضها، بل تُرِكت لكى نصوغها بخيالنا. إذ نرى فى المشهد التالى «حتشبسوت» وهى تحيى المستكشفين العائدين على ضفاف النيل عند طيبة. وتُظهر المزيد من البضائع بينما

يتم تفريغها على رصيف الميناء، ومن بينها أشجار البخور المحمولة بين شخصين، وجذورها موضوعة فى سلال. ورجال آخرون يحملون الأقواس، وخشب الأبنوس، والبخور، والجرار (أوانٍ فخارية كبيرة) التى تحتوى على زيوت عطرية. كما كان بعض الرجال يقودون قطعانًا من الماشية وقردًا. ويظهر المشهد التالى «حتشبسوت» وهى تقدم كل البضائع إلى الإله «آمون»، وتصف النقوش الموقف كما يلى:

> الملك نفسه، ملك مصر العليا والسفلى، ماعت كارع، يقدم الأشياء الطيبة من بلاد بونت، مع هدايا بلاد الجنوب... إلى آمون، سيد طيبة، الذى يترأس الكرنك؛ من أجل حياة وازدهار وصحة ملك مصر العليا والسفلى، ماعت كا رع؛ لكى تعيش وتبقى ويكون قلبها مبتهجًا، فتحكم على الأرضين مثل رع للأبد.

تُظْهر المشاهد الأخيرة «حتشبسوت» وهى تُعلِن نجاح بعثتها سواء بالنسبة للإله «آمون» أو بالنسبة لبلادها. ولا يظهر «تحتمس الثالث» إلا مرة واحدة فقط فى القصة كلها؛ حيث يُصَور وهو يقدم أفضل المر الطازج للإله «آمون». أما «نحسى» و«سنن موت» وغيرهما من المسئولين غير المذكورين بالاسم، فقد ظهروا يهنئون «حتشبسوت» على نجاح بعثتها.

السنوات الأخيرة

فى حدود معلوماتنا، مرت السنوات الأخيرة من حكم «حتشبسوت» بسلام. وقد مات «إنينى» حاكم طيبة و«حبو سنب» رئيس كهنة أمون قبل ذلك أثناء حكمها. وفى وقت ما بين السنة السادسة عشرة والعشرين من حكمها، مات خادمها المؤتمن «سنن موت». ولدينا



الملكة «حتشبسوت» فى هيئة أبى الهول. هذا التمثال أحد تمثالين يوجدان فى معبدها الجنائزى فى الدير البحرى.

دلائل جديرة بالاعتبار فيما يتعلق بمحبتها لهذا الشخص. حيث يوجد أكثر من خمسة وعشرين تمثالاً «لسنن موت» فى كل أنحاء مصر. كما أن المعبد الجنائزى لـ«حتشبسوت» فى الدير البحرى يحتوى على أكثر من ستين صورة صغيرة «لسنن موت» مخفية خلف الأبواب والتماثيل. هذه التماثيل والصور كانت ستضمن لـ«كا» «سنن موت» البقاء بعد موته.

بنى «سنن موت» لنفسه مقبرتين فخمتين، على الضفة الغربية

للنيل فى مقابل طيبة، واحدة على قمة التل الذى يُعرَف باسم القرنة، والذى يضم المقبرة إلى جانب مقبرة أحد المسئولين، ويُدْعى «أمنحتب» وكذلك معلم ملكى آخر اسمه «سنيمين». وظلت القرنة المكان الذى يضم مقابر الموظفين الحكوميين فى أثناء حكم «تحتمس الثالث». غير أن «سنن موت» لم يكن راضيًا عن هذا الموقع، لذلك فقد بنى مقبرة ثانية فى المنطقة الواقعة خلف معبد الدير البحرى. وكان مدخل هذه المقبرة فى الأصل مخفيًّا فى أرضية محجر كبير. ولا نعلم اليوم المكان الذى دُفِنَ فيه «سنن موت»؛ حيث إن هاتين المقبرتين قد وجدتا فارغتين عند الكشف عنهما. كما تعرض الكثير من آثاره للتشويه أو التدمير بعد وفاته؛ ربما لعلاقته الوثيقة بـ«حتشبسوت».

يبدو أن الأميرة «نفرو رع» قضت معظم سنوات عمرها وهى تعمل بوصفها «الزوجة» الرسمية فى عدة وظائف رسمية. لقد كانت هناك حاجة دائمة لدور الملكة (الزوجة العظيمة للملك) فى الاحتفالات الدينية والرسمية، ونتيجة لإدراك «حتشبسوت» لذلك، نجدها تستعين بابنتها لتلبى هذا الاحتياج عند الضرورة. وآخر ذكر للأميرة «نفرو رع»، نجده فى نقش فى مقبرة «سنن موت» فى القرنة، ويرجع تاريخه إلى السنة السادسة عشرة من حكم «حتشبسوت»، ويبدو أن



تماثيل صغيرة لأبناء الإله «حورس»، وكانت وظيفتها حماية الأعضاء الداخلية للملوك المتوفين.

«نفرو رع» ماتت بعد ذلك بفترة وجيزة.

ونحن لا نعرف ما إذا كانت قد تزوجت من «تحتمس الثالث» أم لا، كذلك ليست لدينا فكرة واضحة عن طبيعة شعورها وموقفها تجاه حياتها التى قضتها فى خدمة أمها.

وأخيرًا، بدأت «حتشبسوت» منذ السنة العشرين من حكمها، وما بعدها، فى الظهور على آثارها، ونقوشها مقترنة بـ«تحتمس الثالث» بوصفه شريكًا مساويًا لها، يظهر واقفًا إلى جانبها بدلاً من وقوفه وراءها. وربما شعرت بتقدم العمر واقتراب الموت، وأهمية ضمان وصول التاج بهدوء إلى خليفها. فى ذلك الوقت، أصبح «تحتمس الثالث» قائدًا للجيش المصرى، وكان مشغولاً بسلسلة من الحملات العسكرية فى

النوبة، وسوريا، وكنعان. ماتت «حتشبسوت» فى اليوم العاشر من الشهر السادس من العام الثانى والعشرين من حكمها (1458ق.م). ولمدة أربعين يومًا، خضع جثمانها لطقوس التحنيط، ودُفِنت فى النهاية إلى جوار أبيها فى مقبرتها فى وادى الملوك.

لم يتم التعرف على مومياء «حتشبسوت»، ولا يبدو أنها واحدة من تلك المومياوات التى وُجِدَت فى خبيئة الدير البحرى. غير أنه، فى سنة 1903م، وجد عالم الآثار هوارد كارتر مومياء مجهولة لأنثى فى مقبرة «سات رع»، تُعرَف باسم «إنيت»، التى كانت مربية «حتشبسوت» فى طفولتها، ولا شك أنه من الممكن أن تكون هذه المقبرة الصغيرة قد عُدت مكانًا آمنًا لإخفاء جثمان «حتشبسوت». وترجع هذه المومياء لسيدة بدينة فى منتصف العمر، لديها أسنان بالية، وشعر ذهبى يميل إلى الحمرة. وقد تم تحنيطها، وذراعاها متقابلتان على جسدها فى الوضع النموذجى لملوك الأسرة الثامنة عشرة وقد ثبت مؤخراً أنها مومياء «حتشبسوت».

واستمر «تحتمس الثالث» فى حكم مصر بمفرده لأكثر من ثلاثين سنة. وكان محاربًا عظيمًا، وخاض سبع عشرة حملة عسكرية فى سوريا، والكثير غيرها فى النوبة. كما أنه شيد وقام بتوسيع الكثير من المعابد فى كل أنحاء مصر والنوبة. ويُذكر «تحتمس الثالث» باعتباره

واحدًا من أعظم فراعنة مصر. ومات فى النهاية سنة 1425ق.م. وتُوجد مومياؤه الآن فى المتحف المصرى بالقاهرة. وقرب نهاية حكمه، بدأ «تحتمس الثالث» عملية تدمير منظم لتماثيل زوجة أبيه «حتشبسوت»، وصورها، ونقوشها، ومدوناتها. غير أنه لم يهاجم سوى تلك التماثيل والصور التى أظهرتها فى صورة حاكم لمصر لكنه ترك تلك التى تظهر «حتشبسوت» باعتبارها الابنة الملكية، أو الزوجة الملكية، والأم الملكية. وربما كان سبب ذلك اعتقاده بأن وجود فرعون كامرأة يُعَدُّ أمرًا معاديًا لـ«ماعت»، وأن وجود «حتشبسوت» باعتبارها فرعونًا أنثى على عرش مصر يمكن أن يصير مثالاً خطيرًا لغيرها من نساء العائلة الملكية.



ينعم الإنسان بشعور الألفة بينه وبين المجتمع الذي يحوطه ويحيا فيه، حين يفتح أفقاً أمام الحاضر والمستقبل باستيعاب المعلوم، وإدراك المجهول، وحين يقرأ نفسه، ويقرأ الآخر، فكل قراءة تجدد المعرفة تحرر الناس من العجز أمام المشكلات، وتمنح الطاقة والإمكان على تحسين الحياة، بأن نوظف معارفنا لكل ما هو نافع ومفيد، فالمعرفة أهم وأغنى وأقوى ما يمكن أن نمتلكه في الحياة، ففي ظلها يزدهر عقل الإنسان، ووعيه المتجدد المتنور، فتتعدد لديه الإبداعات والإنجازات وينتج الموارد والثروة، ويصنع القوة، وتتسع أمامه كل المجالات. إن قاموس تحسس القراءة تحسس ممارسة الحياة.
لذا، كانت ومازالت دعوتي أن نقرأ الحاضر.. أن نقرأ المستقبل.. أن نقرأ الحياة

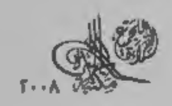
سوزان مبارك


الهيئة المصرية العامة للكتاب




ISBN# 9789774203986
6 221149 007826

٣ جنيهات


مكتبة الأسرة ٢٠٠٨